أنـدريـا بـليـك

لؤلـؤة

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده خلف الجامع الأزهر - القاهرة
ت/٥١٤٢٩٥٥ - ٠١٢٢٧٨٦٤١٨

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية

FLOWERS IN STONY PLACES

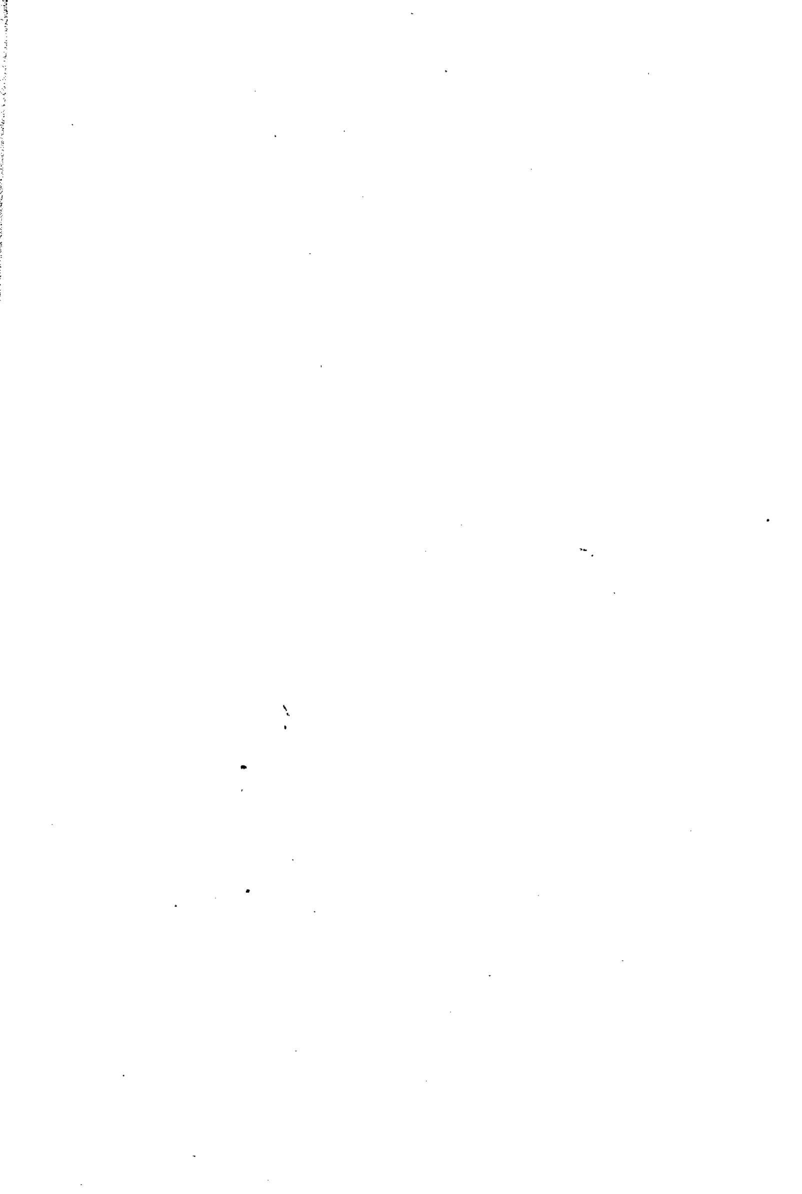


روايات عبير

منذ صدور هذه الروايات في العالم العربي، بعدما طالعها القراء عبر جهات الأرض الأربع، ونحن نتلقى التهاني والتشجيع ورسائل الشذى الطيبة من كل مكان.

لأن هذه الروايات بطاقات سفر ذهاباً فقط الى عالم النقاء العاطفي وصفاء الأحلام، ولأنها لمسة نسيم بالغة الرقة، ورفيقة المطالعة المفضلة لدى الملايين في العالم كله.

اربطوا حزام الأمان فالرحلة الى عالم الحب تبدأ في الصفحة التالية!



١ ـ الماس يشتعل

بدأ اليوم كأي يوم آخر...

استيقظت جولي في حوالي الساعة السابعة، ثم وثبت من فراشها بحيوية أعوامها التسعة عشر.

لم تبد في ثوب نومها البوبلين أنها تجاوزت الخامسة عشرة... وبضربات قوية مرّت على شعرها البني بفرشاتها، وربطته برباط مطاطي، ثم خلعت ثوب النوم، ومدّت يدها نحو القطع القطنية الزاهية الملقاة على أحد المقاعد.

كان في خزانة ملابسها ثوب من التيل... وهو الوحيد الذي تمتلكه، أما بقية الخزانة فتتكون من قمصان وبنطلونات قصيرة، وعدّة أثواب مصنوعة للاستحمام في المنزل، ولديها أصبع لطلاء الشفاه بلون وردي، جاء به أبوها من سان فنسانت في عيد ميلادها الثامن عشر، وليس لها أية تجربة مع أي نوع آخر من مستحضرات التجميل.

جولي أنفها مليء بالنمش، ولها ذقن عريضة أشبه بذقون الصبيان. ولون جفنيها غالباً ما يميل إلى الاحمرار نتيجة لفترات الغوص الطويلة في البحر. لم تكن تفكر في مظهرها، أو تحدّق في صورتها بالمرآة، حتى ترضى أو تسخط على نفسها.

في ذلك الصباح، تناولت أصبعي موز من الصحن الموضوع على مائدة

الشرفة، والتهمتها وهي في طريقها عبر الشريق المنحدر نحو الشاطىء،وبعد أن سبحت ساعة في المياه الزمردية الصافية، جففت نفسها فوق الرمال المرجانية البيضاء، ثم قفلت عائدة إلى البيت لتناول الافطار.

وكان في انتظارها على مائدة الافطار، ثمرة من الكمثرى، وبيضة مسلوقة، وكوب كبير من حليب الماعز.

كانت على وشك الانتهاء من شرب اللبن حين برزت جيزيلا من غرفتها، وهي ترتدي ثوبها الأسود الفضفاض، وقبعة نوم مزخرفة، ووجهها ملطخاً بدهان من مجموعتها، ولو أن زوجها في البيت لزينت وجهها وصففت شعرها قبل ظهورها ولكن جوناثان كان بعيداً.

قالت جولي بلهجة حاولت أن تكون ودية.

«صباح الخير يا جيزيلا.»

لكن البسمة التي ارتسمت على شفتيها كانت مغتصبة، لأنها كرهت زوجة أبيها منذ النظرة الأولى، ولم تكن الشهور العشرة التي عاشتها معها كافية لتجعلها تعيد النظر في رأيها هذا.

وغاصت جيزيلا في أحد المقاعد، واجابت:

«اطلبي من العمة لو الاسراع باحضار قهوتي، فلم أنم جيداً، وبدأت الآن أشعر ببوادر الصداع.»

«هل تناولت قرصاً من الأسبرين؟»

«أجل ياله من سؤال سخيف!»

واحمرّ وجه جولي وضغطت بأسنانها على شفتها، ثم قالت في خضوع:

«سأحضر قهوتك.»

وهرعت نحو المطبخ...

لم يكن على الجزيرة الصغيرة المسماة سوليتير غير بيتين، أحدهما البيت الصغير ذو الغرف الثلاث الذي أقامه جوناثان تمبل. والآخر الكوخ ذو السقف المصنوع من سعف النخيل وتشغله العمة لو وذريتها وهي سيدة سمينة مرحة من أهالي جزر الهند الغربية، وأم لأحد عشر طفلاً، وتقوم بأعمال الطهو والنظافة لأسرة تمبل، بينما يقوم زوجها هرقل بصيد الأسماك وزرع البطاطا والبندورة وبعض الخضار.

احبت جولي العمة لو حباً شديداً، بينما جيزيلا لاترتاح إليها، وقالت لجولي عقب وصولها مباشرة:

«يجب ألا تسمحي لها برفع الكلفة معك إلى هذا الحد، فهي خادم ويجب أن تضعيها في مكانها.»

ولكن جولي عارضتها قائلة:

«أي مكان تقصدين؟ إنني أحبها وهي طيبة جداً معي.»

فردت جيزيلا بصبر نافذ:

«أنت ساذجة إلى حد لايصدق بالنسبة الى سنك، وأعتقد أنه لا أهمية لذلك طالما بقيت على هذه الجزيرة،ولكن يعلم الله كيف ستتصرفين عندما تضطرين للأختلاط بأناس متحضرين!»

اشاعت كلمة عندما هذه الخوف والقلق في نفس جولي، فلم تكن قد فكّرت كثيراً في المستقبل حتى جاءت زوجة أبيها. الجزيرة هي موطنها منذ كانت في الحادية عشرة من عمرها، ولم تكن ذكرياتها في طفولتها في انكلترا مبهجة جداً.

غير أنّ جيزيلا لم تكن من ذلك النوع الذي يمكن أن يكون سعيداً فوق جزيرة مساحتها صغيرة... ولم تكن تستطيع السباحة أو الجلوس في الشمس حتى لا تؤذي بشرتها الرقيقة، ولا تحب القراءة ولاتهتم إلاّ بموسيقى الرقص، أما الهدوء والوحدة فكانا يثيران مللها.

وكانت تشعر بالرضى خلال الشهرين أو الثلاثة الأشهر الأولى، فهي من النساء اللواتي يرضيهن الاعجاب بهن، وكان جوناثان تميل يغمرها بحبه الكبير المتفاني وأراد بطبيعة الحال أن يرسمها، ويسجل كل جانب من جوانب جمالها. فوقفت جيزيلا أمامه واعترضت على بقائها ساكنة فترات طويلة، وإن كانت سعيدة لفكرة أن هذه اللوحات ستعرض في أنحاء العالم.

ولشدة مللها كان جوناثان يأخذها في رحلات إلى جزر المارتينيك وترينيداد.

وكانا ينزلان بأفخر الفنادق، يقضيان النهار في الشراء من المتاجر والأمسيات في النوادي الليلية، بينما تبقى جولي في سوليتير، لأن جيزيلا لاتريدها معهما. كما أنها لم تكن تستطيع أن تتحمل مشاهدة والدها وهو في قبضة تلك العاطفة التي تستبد به.

أما الآن، وبعد مضي عشرة أشهر، فلم تعد حتى الرحلات العديدة كافية للتخفيف من ضجر جيزيلا، التي شرعت تحاول إقناع زوجها، بالرحيل عن سوليتير إلى الأبد!

ولم تكن تشن حملتها بطريقة مباشرة، بل كانت تدور حولها بصورة ملتوية، حيث تدلي بملاحظات تبدو عفوية، عن حاجة جولي إلى مصاحبة أشخاص في مثل سنها، وكيف أنها محرومة من المتع التي تحظى بها الفتيات في سن التاسعة عشرة!

اما جولي فقد استطاعت حتى الآن اقناع والدها بأنها سعيدة جداً حيث هي، ولم يستجب هو لمناورات زوجته الملتوية، بدون أن يدرك مدى كرهها للجزيرة، بل كان يجيبها بردود عابرة قائلا:

«لا أظن أن جولي تهتم الآن كثيراً بالحفلات ومصادقة الفتيان، إنها تفضل الغوص لصيد سرطان البحر على إغراء الشبان.»

وسمعت جولي زوجة أبيها جيزيلا وهي ترد عليه بانفعال مثير:

«إنها لم تقابل أي شاب ابداً.»

فضحك أبوها وقال بلا مبالاة:

«إنها مازالت صغيرة ياعزيزتي، وأمامها وقت طويل لكي تفرد جناحيها...»

عندما عادت جولي إلى الشرفة تحمل إناء القهوة السوداء، وجدت جيزيلا تشعل سيكارة، وكانت تدخن بإفراط أدى إلى المشادة التي وقعت منذ ليلتين وسمعت جولي في ألم شديد صوت أبيها وهو يسحب كلماته الغاضبة في ذل، ويتوسل إلى جيزيلا أن تسمح له بالدخول، وعندما لم ترد عليه، أطلق صوتاً مزمجراً، وانطلق نحو الشاطيء:

ولم يعد طوال الليل، وفي ساعة مبكرة من الصباح ذهب مع هرقل في رحلة لصيد الأسماك بين الجزر المجاورة وبقيا عدة أيام بعيداً.

وقالت وهي تتثاءب بينما كانت جولي تضع صينية القهوة على المائدة:

«يا إلهي...يا له من مكان كئيب، لا تليفزيون ولا راديو لاشيء أكاد أصرخ من فرط الملل!»

فقالت جولي مذكرة إياها:

«سوف تكونين في نيويورك يوم الجمعة.»

وكانت هناك مجموعة من لوحات أبيها، تتضمن واحدة لجيزيلا، تعرض في أحد معارض الفن بنيويورك، وقد استخدمت زوجة أبيها كل وسائل التملق لكي تغري والدها على أخذها لمشاهدتها.

وأجابت جيزيلا بكآبة:

«إنه أسبوع واحد، ثم أعود إلى هذه الحفرة، لا أدري كيف يمكنك احتمالها. أتريدين أن تصبحي عانساً؟ ستكونين كذلك لو بقيت هنا وقتاً أطول.»

ولم ترد جولي، كانت تخشى أن تفقد أعصابها، أو ترد رداً غير حذر سرعان ما تنقله جيزيلا إلى جوناثان، لأن زوجة أبيها بارعة في تشويه أغلب كلماتها وتحويلها إلى كلمات لاذعة قاسية، ولم تكن جولي تستطيع تحمل تصديق أبيها لأقاويل جيزيلا واتهامها بأنها حقودة غيورة كالأطفال!

وقالت وهي تتوق للابتعاد عنها:

«أود قضاء الصباح في الخليج الجنوبي، إذا لم يمكن لديك مانع.»

«افعلي كما تشائين... لايهمني.»

أخذت جولي انبوبة التنفس تحت الماء وقناع الغوص، وانتعلت حذاء خفيفاً لوقاية قدميها وهي تصعد طريق الغابة، المؤدي إلى الخليج الواقع في الطرف البعيد من الجزيرة، ولم تعد إلى المنزل إلا بعد الظهيرة بقليل وفي عودتها دهشت لرؤية زورق رحلات بحري فاخر يلقي مراسيه في البحيرة المتصلة بالبحر، ولم تبد أية دلالات على وجود أحد على ظهره.

جزيرة سوليتير واحدة من مجموعة الجزر المرجانية التي تعرف باسم الغرينادين، وهي بدورها جزء من جزر مهب الريح التي تشكل حاجزاً بين البحر الكاريبي والمحيط الأطلنطي.

ولم تكن سوليتير تشبه حتى رأس الدبوس، ولاتستقبل أي زائرين، وقد أدى ازدهار السياحة في جزر الهند الغربية في السنوات الأخيرة إلى اقتراب زوارق رياضة صيد الأسماك إلى مسافات يمكن أن يلوحوا منها بأيديهم، ولكن الجزيرة كانت تعتبر ملكية خاصة، ولم

ينزل إليها أي غريب من قبل.

وكان هذا هو السبب في أنّ جوناثان استأجر سوليتير التي تكفل له عزلة لاتنتهك... واستبد الفضول بجولي لمعرفة من هذا الذي اقتحم عزلتهم، فبدأت تسرع نحو البيت، ولكنها توقفت قليلاً عندما سمعت ضحكة جيزيلا.

ترى هل يكون القادمون أصدقاء لزوجة أبيها؟

جيزيلا تتكتم كل شيء عن ماضيها إلى حد عجيب، وكان جوناثان قد التقى بها في هاييتي حيث كانت تعمل في طلاء وتشذيب الأظافر في فندق غراندلوكس بمدينة بو أو برنس، حيث ذهب لمشاهدة لوحات تيمبرا المرسومة على جدران الكاتدرائية الأسقفية بواسطة فنانين من أهل هاييتي... وكانت الزيارة قصيرة، عاد بعدها مع عروس شقراء لاتكبر عن ابنته إلاّ بتسع سنوات فقط.

كان كل ماتعرفه جولي عن ماضي زوجة أبيها، هو أن جيزيلا ولدت في جامايكا، وأن أبويها توفيا وهي تتحدث الفرنسية والأسبانية ولغة الكربولي بطلاقة...

وتقدمت جولي نحو حافة الشرفة، حيث نظرت من خلال فجوة بين شجيرتين... كانت جيزيلا تضطجع برشاقة فوق أحد مقاعد الشرفة الطويلة وقد صففت شعرها المطلي بلون فضي على هيئة ناقوس براق، وأخفت عينيها الأخاذتين خلف نظارة، غير أن جولي أمكنها أن تعرف من حركات شفتيها أنها كانت تمارس كل فنون سحرها على الرجل الذي معها.

كان هو أيضاً يضع نظارة داكنة، وظنّت جولي لأول وهلة أنه من أبناء جزر الهند الغربية، فقد كانت بشرته لها اللون الأسمر نفسه الذي للعمة لوو هرقل، غير أنها أدركت أنه رغم قصر شعره فإنه ليس

من النوع المجعد الذي يتميّز به سكان البحر الكاريبي، كان أوروبياً.
ولعلها عرفت أن جيزيلا لم تكن لتتخذ هذا الوضع مع زائر من الملونين، فقد كانت تبدو دائماً متعالية مع أبناء العمة لو.
وخرجت جولي من الغابة الصغيرة وقناع الغوص يتدلى من عنقها وأنبوبة التنفس في يدها اليسرى، وعبرت قطعة الحشائش الممتدة أمام المنزل، ثم ارتقت درجات الشرفة... وما كاد الغريب يراها حتى نهض ورفع النظارة عن عينيه.
كان طويل القامة، في مثل عمر جيزيلا تقريباً، وكانت عيناه تلفتان النظر بلونهما الرمادي الداكن.
قالت جيزيلا وهي تخفي وميضاً من الضيق في عينيها:
«جولي، هذا السيد تيرنان.»
وقدمتها إليه:
«هذه ابنة زوجي ياسيد تيرنان.»
ومدّت جولي يدها تصافحه وتقول:
«كيف حالك؟»
«كيف حالك أنت؟»
وقالت جيزيلا في ابتهاج:
«إنها الواحدة تقريباً، ليس هناك وقت كثير لابدال ثيابك ياعزيزتي.»
وأسرعت جولي إلى غرفتها بعد أن اعتذرت لها، وهي تكتم ابتسامة على شفتيها.
وقالت لنفسها، إنها تنوي إذن أن توهمه بأننا أشبه بأختين تماماً.
لأن جيزيلا قد اتبعت هذا الاسلوب المصطنع عند وصولها إلى سوليتير أول مرة، لكي ترضي جوناثان فقط، فهي لم تكن تهتم حقاً بأن تفوز بحب جولى.

عادة تتناول جولي الغداء وهي ترتدي ثوب استحمامها، ولا تلبس ثيابها العادية إلاّ بعد الغروب.

وعندما عادت للظهور في الشرفة، كانت جيزيلا والسيد تيرنان يتجهان نحو مائدة الغداء.

وشعرت أنهما كانا يتناقشان قبل عودتها حول كرنفال ماردي غراس في جزيرة المارتينيك الفرنسية، وقد استمرت جيزيلا في حديثها بدون أن تهتم بشرح المكان الذي جاء منه الضيف،أو سبب قدومه إلى سوليتير.

الا أن السيد تيرنان حاول اشراك جولي في الحديث عندما قال:

«عندي رئة للغوص في زورقي، فإذا خطر لي أن أستكشف السلسلة الصخرية بعد ظهر اليوم أي جانب من الجزيرة توصين به ياآنسة تمبل؟»

فرفعت جولي وجهها عن شريحة البطيخ وقالت:

«الجانب الجنوبي، أما إذا تجاوزت الصخور فعليك أن تحترس من التيارات المتضاربة. إنها ليست خطيرة إذا تركتها تحملك، ولكن لا فائدة من محاولة السباحة ضدها.»

فأومأ برأسه قائلاً:

«أجل، لقد واجهت من قبل مثل هذه التيارات، الواضح أنك غواصة خبيرة.»

فتدخلت جيزيلا وكأنها تتحدث عن بنت شقية في الثانية عشرة:

«جولي تعيش في البحر. أليس كذلك ياحبيبتي؟ من المؤسف أنني أعاني بعض الألم في أذني، ولا أستطيع السباحة في الوقت الحالي. أحب القيام بجولة سريعة في زورقك ياسيد تيرنان، فالجو شديد

الحرارة بعد الظهيرة، أما إذا أردت أن تقوم ببعض الغوص بطبيعة الحال...»

فقاطعها قائلاً:

«يمكنني الغوص في أي وقت، ويسرني أن أصحبك إلى عرض البحر ياسيدة تمبل.»

ثم أضاف موجهاً الحديث إلى جولي:

«ربما أحببت المجيء أنت أيضاً؟»

«شكراً، ولكنني مشغولة بعد الظهر.»

وتدخّلت جيزيلا لتقول مفسرة:

«إنني وجولي نقوم بتعليم أبناء طاهيتنا القراءة والكتابة، وبعد ظهر اليوم سيكون دورها لتعطيهم درسهم.»

وكانت تلك كذبة بكل معنى الكلمة، إذ أن جيزيلا عندما عرفت بأمر الدروس التي تعطيها جولي للأطفال قالت لها إنها مضيعة للوقت، وسألت جولي نفسها: لماذا هي متلهفة للتأثير على الرجل؟ أم أن هذا هو أسلوبها مع كل الرجال؟»

وبينما كانت جيزيلا تتحدث، أخذت جولي تتفحص تيرنان متسائلة عما إذا كان تكلّف زوجة أبيها قد خدعه؟ ووجدت صعوبة الحكم على ضيفهما، فقد كان أبوها هو مقياسها الوحيد للرجال الأوروبيين. ترى هل يملك زورق الرحلات القوي أم أنه استأجره لقضاء عطلة؟ أو أنه ربان ابتاع الزورق مقابل رهن ليكسب عيشه من نقل جماعات السياح حول الجزر؟ وإذا كان الأمر كذلك فأين هم ركابه؟ لعله أنزلهم بعيداً!

ونسيت جولي أن نظراتها لاتزال مثبتة على وجه تيرنان الأسمر النحيل، وعادت من استغراقها الحالم لتجده يرد على تفحصها بوميض

ساخر في عينيه واحمر وجهها، ووجهت اهتمامها بسرعة إلى سرطان البحر اللذيذ الذي كان في صحنها... وعندما انتهى الطعام نهض تيرنان شاكراً جيزيلا على كرم ضيافتها وقال:

«أعتقد أنكما سوف تستريحان الآن حتى أعود إلى الزورق، ولعلكما تحضران بعد أن تصبحا على استعداد، ويكفي أن تصيحا لكي أنقلكما بالقارب الصغير.»

ونظرت إليه الاثنتان وهو يقطع الطريق نحو الشاطىء واضعاً يديه في جيبي بنطلونه القصير، وبدت حدود كتفيه العريضتين من قميصه البحري. كما لاحظت جولي أن له ساقين طويلتين لفحتهما الشمس كوجهه.

وما أن ابتعد عن مرمى السمع حتى سألت جيزيلا:

«من هذا؟»

«جاء من بربادوس وتوقف ليسأل عما إذا كنا نسمح له بأخذ بعض الخضار الطازجة، وبطبيعة الحال طلبت منه البقاء للغداء.»

كان في صوت زوجة أبيها نغمة ما، جعلت جولي تشعر بقلق غامض لم تستطع تفسير سببه، وقالت لها:

«أتظنين أنه من الضروري الصعود إلى الزورق؟ كان أبي يقول لي دائماً ألاّ أصعد إلى أي سفينة إذا جاء غرباء وهو غير موجود.»

وضحكت جيزيلا وردت بلهجة جافة:

«هذا لأنك مازلت صغيرة ياحبيبتي، فأنت لاتعرفين الذئب من الخروف إلاّ إذا وضعوا عليه بطاقة!»

فاجابتها جولي بإصرار:

«يقول أبي إنه لايمكن معرفة ذلك دائماً، احياناً يبدو الأشخاص بمظهر لطيف، وبعد أن يجعلوك تصعدين إلى السفينة يتحولون إلى وحوش،

انا أستطيع القفز من السفينة والعودة سباحة. أما أنت فلا يمكنك ذلك يا جيزيلا!»

تنهدت جيزيلا ثم قالت وهي تتفحص أظافرها:

«حسناً... لا أضع السيد تيرنان في قائمة الخراف، ولكني لا أعتقد أن هناك خطراً كبيراً منه، فلا يساورك القلق ياعزيزتي فلن تسمعيني أصرخ طلباً للنجدة.»

ثم اضافت:

«يستحسن أن أذهب الآن لارتداء شيء يناسب البحر.»

وعقب انصرافها إلى غرفتها، صبت جولي لنفسها فنجاناً آخر من القهوة. وكان في إمكانها مراقبة السيد تيرنان وهو يسير على السطح الأمامي للزورق، وقد نزع قميصه ثم استلقى تحت أشعة الشمس.

وأخذت تراقبه بضع دقائق... حتى أحست برغبة جارفة في تفحص وجهه مرة أخرى، فاتجهت إلى غرفة العمل حيث وجدت المنظار الخاص بأبيها.

وكانت عدساته قوية جداً إلى حد أنها استطاعت رؤية السيد تيرنان بوضوح وكأنه يستلقي على مسافة ياردة واحدة منها كانت عيناه مغلقتين وقد بدا وكأنه مستغرق في النوم... وشفته السفلى العريضة الممتلئة تنطبق بشدة على الشفة العليا، بينا كانت ذقنه الصلبة العريضة تتناسب مع تقوس عظمة أنفه، ورموشه السوداء الكثيفة هي فقط التي تخفف من ملامح رجولته القوية.

وكانت على وشك إنزال المنظار المقرب عن عينيها عندما ساد بعض الضباب فأخفى وجهه ولم تر غير سطح الزورق المصقول... وحركت المنظار في ارتباك لتبحث عن وجهه، ولكنها عندما رأته، كان هو يحدّق فيها مباشرة وقد بدت السخرية والتحفز في عينيه الرماديتين، وبينا

كانت تتفرس فيه بنظرات متجمدة، غمز لها بعينه غمزة خبيثة.

ووثبت جولي واقفة حتى كاد المنظار يقع من يدها، وقبل أن تدور على أعقابها وتندفع صوب غرفتها، كان تيرنان يرفع ذراعه ويلوح لها.

بعد أن انتهت جولي من إعطاء الدرس لبنجامين و توسان ولو الصغير لتعليم الكتابة، انطلقت للسباحة، وأخذت معها حزمة من الطعام وشربت الشاي على النتوء الشرقي للجبل.

وبقيت بعيداً حتى انحدرت الشمس نحو الغروب وحان وقت العشاء. فأخذت تشق طريقها عائدة نحو الشاطىء الغربي ولكنها أحست بالسخط عندما رأت أنّ الزورق لايزال في مرسى البحيرة، وهو مايعني بلا شك أن الرجل سيقضي الليلة هنا.

وقالت لنفسها في غيظ يالها من وقاحة!

كانت جولي قد جرحت قصبة ساقها فوق شعبة مرجانية بعد الظهيرة، فتسللت إلى غرفة نومها حيث طهرت الجرح، وارتدت قميصها وبنطلونها القصير.

وفي تلك اللحظة سمعت العمة لو تقول:

«تم إعداد العشاء ياسيدتي، ألم تعد الانسة جولي بعد من السباحة؟»

فردّت جيزيلا بدون مبالاة:

«كلا لم تعد بعد، وسنضطر لأن نبدأ بدونها.»

وقال تيرنان متسائلاً:

«هل تبقى عادة في الخارج بعد الغروب؟ ربما وقع لها حادث، يستحسن أن أبحث عنها.»

«كلا، لاتزعج نفسك ياسيمون، فكثيراً ما تتأخر عن الطعام، وأعتقد

أنها ستظهر بعد لحظة.»

وقالت جولي لنفسها، إذن فهي تناديه الآن بسيمون!»

وقال سيمون تيرنان:

«يجب عليها ألا تغوص وحدها تحت الماء... هذا خطير بالنسبة إلى بنت صغيرة مثلها!»

اخذت جولي تغلي غضباً في غرفتها، كيف يقول إنها بنت صغيرة! إنها قادرة على أن تثبت له براعتها في الغوص تحت الماء.

وفتحت بابها وخرجت إلى الشرفة.... وقالت بدون اهتمام:

«هل تم إعداد العشاء؟»

ورفع سيمون تيرنان أحد حاجبيه إلى أعلى.

وسألتها جيزيلا:

«كيف دخلت؟ أكنت هنا عندما عدنا؟ وماذا كنت تفعلين طوال ساعتين؟»

وأدركت جولي أن جيزيلا غضبت لأنها شكت في أنها كانت تستمع الى حديثهما، وهذا يعني أن زوجة أبيها قالت أشياء لاتريد أن تسمعها، وقبل أن تتمكن من الرد، قال سيمون:

«أعتقد أنها عادت عن طريق النافذة إلاّ إذا كانت الآنسة تمبل تعرف بعض طرق السحر التي تخفيها عن الانظار.»

فقالت جولي:

«أجل فعلت ذلك، منذ حوال عشر دقائق.»

ورأت وميضاً من الارتياح في عيني جيزيلا أكّد شكوكها.

وكما حدث خلال الغداء، لم تشترك كثيراً في الحديث على المائدة، وظلت أغلب الوقت تسائل نفسها عما قالته جيزيلا في أذني سيمون وحده؟

وبعد أن دخن سيمون سيكاراً مع القهوة، قال إنه يجب أن يعود إلى زورقه، ولكن جيزيلا التي بدت عليها الدهشة وخيبة الأمل، قالت معترضة:

«ولكن الساعة لاتزال التاسعة!»

فقال في مرح:

«أعتقد أنني أستيقظ مبكراً أكثر منكما، طابت ليلتك ياسيدة تمبل. سعدت مساء ياجولي.»

وغاظها استخدامه لاسمها الأول، فقالت بعد انصرافه:

«كم يظن عمري؟»

ردت جيزيلا بحدة:

«ليس تسعة عشر عاماً بكل تأكيد، ولكن لاتلومي إلاّ نفسك إذا ظن أنك مراهقة... فإن شعرك الأشعث وهذه الثياب الرثة تجعل الناس يعتقدون أنك أصغر مما أنت.»

وردّت جولي باقتضاب:

«لايهمني كثيراً مايعتقده السيد تيرنان، متى سيرحل؟ غداً صباحاً؟»

«كلا... إنه يريد البقاء ومقابلة جوناثان.»

«يقابل أبي! لماذا؟»

اجابت جيزيلا:

«يبدو أنك لاتعرفين مدى شهرة أبيك... الواضح أن سيمون موسر وربما أراد شراء لوحة.»

فأجابت جولي:

«لاأعتقد أنه يعرف أي شيء عن اللوحات أو يهتم بها.»

«يافتاتي العزيزة، ليس من الضروري أن يشتري المرء لوحات لأنه يحبها، فالصورة بريشة فنان شهير تعتبر استثماراً ودليلا على المكانة

الرفيعة.»

«أعتقد أنك مخطئة في كل شيء، فإنني أشك في أن الزورق ملك للسيد تيرنان، وأظن أنه يتسكع هنا وهناك من أجل طعام وشراب بلا مقابل!»

فهزت جيزيلا كتفيها وقالت:

«إنه على الأقل رفيق مسل، سأذهب للفراش طابت ليلتك.»

ولجأت جولي إلى فراشها مبكرة، ولكنها لم تستطع النوم... كان هناك شيء ما في سلوك جيزيلا لم تستطع فهمه وإن كان يثير في نفسها قلقاً عميقاً.

وحوال العاشرة والنصف كانت لاتزال مستيقظة يتملكها الأرق، وتسللت من فراشها بهدوء، وارتدت ثوب استحمامها، وتدلّت من النافذة حتى لاتحدث خطواتها صريراً في الشرفة، وانطلقت تحت ضوء القمر حتى بلغت الشاطىء.

كانت أضواء مرسى الزورق تتألق، ولكن المقصورات تسبح في الظلام.

وعند الطرف البعيد من البحيرة، ألقت جولي منشفتها على الرمال وسارت نحو البحر، احبت السباحة في الظلام، ولكنها الليلة حرصت على ألاّ تحدث صوتاً في الماء نظراً لوجود الزورق هناك، وراحت تسبح على ظهرها محدقة في النجوم.

ومكثت حوال ساعة في الماء، ثم سارت نحو البقعة التي ألقت منشفتها فيها، وبينما كانت تمد ذراعيها للوراء، سمعت صوتاً يقول:

«ينبغي حقاً ألا تسبحي وحدك ليلاً، فقد تصيبك نوبة حادة من المغص»

زايلها الرعب وتبدل غضباً وقالت بسرعة:

«ماذا تفعل هنا؟»

ولم يكن سيمون تيرنان مختفياً عن الأنظار، بل كان مستلقياً على الرمال الشاحبة، ولو نظرت في ذلك الاتجاه لرأته، ولكن رأسها كان زاخراً بخيالات منتصف الليل، فلم تشم رائحة سيكاره أو تشعر بوجود شخص غريب.

وقال في رقة:

«أنا أيضاً لم أستطع النوم، آسف إذا كنت قد أزعجتك، لابد أنك جائعة الآن، هل لك في بعض الشوكولاته؟»

ولفّت منشفتها حول كتفيها وقالت:

«كلا.... طابت ليلتك.»

وبينما كانت تستدير نحو الطريق المؤدي للمنزل قال:

«أما زلت متضايقة لأنني رأيتك تفحصينني بعد ظهر اليوم؟»

فتوقفت عن السير وواجهته قائلة:

«كلا... وهل ينبغي أن أتضايق؟»

«كان يبدو عليك الضيق خلال العشاء، أم أنك لاتحتملين زوجة أبيك الجذابة؟»

هذه الاهانة جعلتها تفغر فمها وتقول:

«ألا تظن أن هذه الملاحظة مهينة؟»

فقال بلهجة جافة:

«غالباً ما تكون الحقيقة كذلك.»

فوضعت جولي يديها على خاصرتيها العاريتين وطوحت بشعرها المبتل للوراء وقالت:

«أعتقد أنه من الأفضل أن ترحل في الصباح ياسيد تيرنان... فسوف يعود أبي غداً، وهو يفضل أن تكون الجزيرة لنفسه، لو كنا نحب

وصول الناس، لعشنا في سان فنسانت.»
فضحك من قولها وقال:
«إنك صريحة جداً يافتاتي... لماذا تكرهينني؟»
«إنني لا أكرهك، فأنا لا أعرف عنك مايكفي، ولكنني أقول فقط إ
سوليتير ليست منتجعاً للسائحين. إنها ملكية خاصة... فلماذا تلقِ
مرساتك في بحيرتنا؟»
«لقد نسيت أن لدي إذناً بالبقاء حتى يعود والدك.»
«حسناً... لوكنت مهتماً حقيقة بعملهَ، وهو ماأشك فيه، فإن عليك أ
تذهب إلى نيو يورك لشراء إحدى اللوحات، فهو لا يبيع لعابري السبيل
وكل لوحاتهُ تذهب إلى الولايات المتحدة أو لندن.»
«من الذي أوحى إليك بفكرة أنني أريد لوحة؟»
«لقد قالت جيزيلا...»
وتوقفت فجأة عن الحديث. فقد تذكرت أن جيزيلا لم تقل حقيقة
إن هذه هي نيته.
وعادت تسأله:
«إذا لم تكن تريد لوحة فلماذا تريد مقابلة أبي؟»
فطوى ساقيه الطويلتين ونهض واقفاً بحركة رشيقة وقال بدون
مبالاة:
«ألم تخبرك زوجة أبيك إنني أود شراء سوليتير.»
كانت صدمة أذهلت جولي، فأنزلت المنشفة عن كتفيها ولم تحاول
استعادتها فقد أحست بهزة عنيفة وكأنه صفعها على وجهها. وقالت:
«أخشى أنك تضيّع وقتك، فهي ليست للبيع.»
«حقاً؟ الظاهر أن زوجة أبيك تعتقد غير ذلك. فقد أوحت لي أنه إذا كان
العرض مغرياً إلى حد كاف فان والدك يسره البيع. أعتقد أنه يستأجر

المكان لمدة ٩٩ عاماً.»

فقالت جولي في غضب:

«إنها دارنا. وليست للبيع، مهما قالت لك جيزيلا.»

«كانت لدي دائماً رغبة لامتلاك جزيرة، وقد بدا أن هذا المكان هو ما أتخيله في ذهني بالضبط.»

«أعتقد أنك جئت من بربادوس، وهي تبعد أكثر من مائة ميل عن هنا.»

قال:

«أن زورقي سيفيرار يقطع ١٧ عقدة، فهي ليست رحلة طويلة.»

«ولكن لماذا هذه الجزيرة؟ لماذا لا تأخذ واحدة من الجزر الأخرى؟هناك عشرات من الجزر الخالية في الغرينادين؟»

«ليست كثيرة... فبعضها صغير جداً، والبعض الآخر مؤجر فعلاً، وليس بينها ماله مزايا سوليتير، بيت جاهز وأسرة من أبناء جزر الهند الغربية لرعاية المكان، ولكنك إذا كنت على ثقة من أن والدك لايريد البيع، فسيكون عليّ بطبيعة الحال أن أنسى الفكرة.»

وكان في صوته نغمة جعلتها تتكتم غضبها، فلا فائدة من الثورة عليه بعنف، فلن يؤدي بها ذلك إلى أي شيء... ولكن كيف يتسنى لها أن تبلغ مقصدها منه؟ هل تناشد شعور الانصاف لديه؟ ولكن كيف تعرف أن لديه مثل هذا الشعور؟

وكبتت جولي كبرياءها وقالت:

«أرجوك... أرجو أن تصغي إلي، إنني آسفة إذا أظهرت فظاظة، ولكن الموقف هنا معقد نوعاً ما... وإذا سمحت لي أن أشرح لك...»

ولكنه قاطعها في جفاء:

«الموقف واضح... لقد قضيت أغلب حياتك على هذه الجزيرة، وأنت تحبين المكان، وقد تزوج أبوك الآن فتاة لاتحبينها، وهي لاتريد الحياة في

سوليتير بل تريد الابتعاد عنها، بينما تريدين أنت البقاء ووالدك هو صاحب الصوت الفاصل. فهل يلخص ذلك المشكلة الأساسية؟»

«أجل.... أعتقد ذلك، ولكن الأمر ليس بهذه البساطة، إنك لاتفهم، إن جيزيلا....»

«الواقع أن كراهيتك لجيزيلا لاصلة لها بالموضوع، ولو استطعت النظر إلى المسألة بعيداً عن العواطف فسوف تدركين أنه لافائدة من مقاومة مالا مفر منه.»

«مالا مفر منه؟ ماذا تعني؟»

«كم عمرك ياجولي؟»

«تسعة عشر عاماً.»

«حقا؟ كنت أعتقد أنك في السابعة عشرة.»

«وهل لسني دخل في المسألة؟»

«إن سنك هو مفتاح المشكلة.»

«أعرف مايدور في خلدك. تعتقد أنني أشعر بغيرة لأن أبي تزوج من جديد، ولكن الأمر ليس كذلك على الاطلاق، فأنا لست طفلة. وأعرف أنه في حاجة إلى زوجة...ولكن...»

ثم قالت بصوت مختنق:

«ماذا كنت تعني بعبارة مالا مفر منه؟»

فانحنى ليلتقط منشفتها وقال:

«لقد أخذ نسيم البحر يهب وستشعرين بالبرد، يستحسن أن تلفي هذه حولك.»

وعاد يقول:

«إنك في التاسعة عشرة من عمرك أي ناضجة تقريباً، وقد اعترفت للتو بأن والدك كان في حاجة لزوجة، وقد لاتكونين أنت في حاجة للزواج

الآن، ولكن لن يمضي وقت طويل قبل أن تبدأي الاحساس برغبة في حب رجل، وربما كنت تحسين بذلك الآن في عقلك الباطن، فهذا شيء غريزي لدى كل إنسان، فلماذا لاتواجهين الحقيقة وتتكيفين معها؟ سوف تكونين سعيدة جداً في سان فنسانت أو في غرينادا... ولن تبقى جيزيلا هنا... وزوجة الرجل يجب أن تأتي قبل ابنته كما تعلمين.»

فردّت جولي بسرعة:

«ويجب على الزوجة أن تكون سعيدة أينا كان زوجها سعيداً. إن أبي يريد البقاء هنا في سوليتير. لقد رسم أفضل أعماله منذ جئنا إلى منطقة الغرينادين، ولو شاهدت لوحاته لعرفت أي نوع هو من الرجال.»

وظل سيمون ساكناً برهة، ثم قال:

«لقد عرضت عليّ جيزيلا لوحة رسمها لها، ومع أنني لست ذواقة للفن العظيم إلاّ أن الصورة توضح تماماً مدى شعوره حيالها، وفي إمكانك إدراك ذلك بالتأكيد.»

وأمسكت جولي أنفاسها، كيف أمكن لجيزيلا أن تعرض هذه اللوحة أمام شخص غريب؟ لابد أنها مجردة من كل شعور!

إن اللوحة تمثلها عارية تماماً وقد رسمت بعد زواج أبيها مباشرة. وكانت من الناحية الفنية أجمل قطعة رسمها جوناثان تمبل.

وتجاهلت جولي سؤاله الأخير وقالت بصوت خافت:

«إن أبي ليس مثل تولوز، ولوتريك، وموروليانـي، فهـو ليس من الفنانين الذين ينتعشون بالسهر إلى ساعات متأخرة من الليل والحياة البوهيمية. إنه في حاجة إلى الهدوء.»

ثم اردفت:

«أرجوك ياسيد تيرناي أن ترحل. لماذا لاترى جزيرة أوراغان

ففيها أيضاً منزل، وهي خالية.»

فقال بلهجة جافة:

«أجل. سمعت عن أوراغان إنها جزيرة الحظ السيء أليس كذلك؟»

«لاشك أنك لاتصدق هذا الهراء؟ ليس هناك شيء غير طيب حول أوراغان... وكثيراً ماذهبت إليها.»

«ولدت في جزر الهند الغربية، ولا أعتبر سحر الفودو هراء، قد يكون بعضه كذلك، ولكنه ليس كله دجلاً. وأنا لن أشتري جزيرة الأفاعي هذه!»

«قضيت ساعات في أوراغان... ولم ألمس أي شيء سيء فيها.»

«قد لايكون الأمر كذلك.... ولكنك تعرفين مثلي أن طاهيتكم وأسرتكم لايقبلون العيش هناك، بل إنني أشك في إمكانك قضاء ليلة في هذا المكان.»

«أنا شخصياً لاأمانع في ذلك.»

«من السهل أن تقولي ذلك لأنك تعرفين أنك لست مضطرة لاثباته.»

«حسناً، سأثبت لك ذلك، إنني أراهنك ياسيد تيرنان، خذني في زورقك إلى أوراغان وسأقضي بقية الليل هناك. وتستطيع أن تعيدني بعد شروق الشمس، ومقابل ذلك أريد وعداً بأنك سترحل قبل ظهر الغد.»

فابتسم قائلاً:

«أعتقد أنك جادة.»

«ولم لا؟ هل تقبل الرهان؟»

ثم رفعت ذقنها وقالت ضاحكة:

«لاتقلق فلن أموت رعباً، ولن يسمعنا الآخرون عندما نرحل، فالعمة لو مستغرقة في النوم، وجيزيلا تتناول أقراصاً منومة.»

واستدارت لكي تتجه نحو الماء وتسبح إلى الزورق... ولكنه أمسك ذراعها ودفعها للوراء قائلاً:

«لاتكوني طفلة حمقاء، من تظنيني؟»

«رجل لايهتم كثيراً بالآخرين إذا وقفوا في طريق نزواته!»

وشدّد من قبضة أصابعه على ذراعها الناعم بقوة آلمتها ورأت عضلات فكه تتصلّب، ثم تركها وتراجع للوراء قائلاً في اقتضاب:

«الوقت متأخر ويجب أن تكوني في فراشك، أعتقد أن زوجة أبيك كانت على حق، فأنت شديدة التهور.»

إنها لم تفقد أعصابها طوال حياتها، ولكنها فقدتها الآن، وضمت قبضتيها الصغيرتين ورفعتهما في نوبة غضب جامحة، وأمسك سيمون بساعديها وأبقاهما ثابتين في الهواء.

وقال في سخرية:

«الفتيات لايوجهن اللكمات، وإذا كان ولابد فحاولي صفع وجهي، رغم أنني لو كنت مكانك لما فعلت ذلك... ومع ذلك فإذا أردت أن تغامري... هيا.»

وأنزل ذراعيه إلى جانبيه ووقف ينتظر.

فقالت جولي بصوت يرتعش:

«إذا كنت تؤمن بالسحر حقيقة ياسيد تيرنان، فمن الأفضل أن ترحل من هنا سريعاً، لأن البعض قد يقرر أن يجعلك منحوس الحظ!»

«أهذا تهديد ياآنسة تمبل؟»

«لست أدري لماذا شعرت بالقلق، فأنا واثقة من شيء واحد ياسيد تيرنان، وهو أن أبي لن يبيع لشخص مثلك.»

وبينما كانت تسير فوق الرمال مبتعدة، سمعته يضحك... وعندما بلغت منحنى الطريق، استدارت لتنظر من فوق كتفها، كان يسبح

نحو الزورق بضربات قوية.

وقالت لنفسها ياله من رجل كريه... سيعرف أبي حقيقته من نظرة واحدة.

ولكن بعد نصف ساعة، وهي تحتضن وسادتها كانت لاتزال عاجزة عن النوم، تحس أن إيمانها أخذ يتضاءل، وأخذت تحدق في الظلام وقد غمرها قلبها قلق جديد خشية أن ينجح سيمون تيرنان وجيزيلا معاً في تمزيق الهدوء الذي يسود سوليتير... إلى الأبد!

٢ ـ الرسالة المشؤومة

لأول مرة في حياتها وقفت جولي أمام المرآة المعلقة على جدار مخدعها، وراحت تتفحص صورتها بعين ناقدة، وهي تستبدير حولها، مستخدمة مرآة جيب صغيرة لترى كيف تبدو من الخلف.

وقالت لنفسها: حسناً... إنني لست نداً لجيزيلا. ولكنني أبدو عادية كأولئك الفتيات الأمريكيات اللواتي رأيتهن في سان فنسانت؟

ثم ارتدت ثوباً للسباحة، وجمعت شعرها برباط مطاطي. وكانت دهشتها بالغة عندما خرجت إلى الشرفة ورأت جيزيلا قادمة من طريق الشاطىء، وقالت زوجة أبيها وهي تصعد درجات الشرفة:

«دعوت سيمون لتناول الافطار معنا، إن لديه مطبخاً صغيراً رائعاً على زورقه، ولكنه يستطيع أن يتناول طعامه معنا خلال وجوده هنا. ولن يتأخر كثيراً، كان يحلق ذقنه عندما ناديته.»

وأقبلت العمة لو لاعداد المائدة، فأمرتها جيزيلا بإعداد إفطار مشبع لضيفهما، بينما اتجهت جولي نحو سور الشرفة ووقفت تحدّق في المياه الهادئة في البحيرة، التي تحيط بها كتل مرجانية غير منتظمة تحت الماء.

ورغم أن الشمس كانت ملتهبة بشدة طوال النهار، فإن الجو لم يكن حاراً إلى حد غير مريح في جزيرة سوليتير وتمتمت جولي بصوت

مرتفع:
«الرياح التجارية تدفع السفن الكبرى نحو جزر التوابل.»
كان تاريخ جزر الهند الغربية الصاخب يلهب خيالها دائماً.
وسألتها جيزيلا:
«ماذا تقولين؟»
«لاشيء... كنت أتساءل عما إذا كان أبي سيعود اليوم؟»
«أعتقد أنه قد تخلّص من حنقه الآن، ربما سمعت مشادتنا ليلة أمس، لقد حان الوقت لكي يعرف جوني ببساطة أنني لا أحتمل أية سيطرة من أحد.»
«لماذا تزوجته يا جيزيلا؟»
ودهشت هي نفسها لهذا السؤال الذي أفلت من فمها، مثلما أدهش زوجة أبيها... التي قالت وهي ترفع حاجبيها.
«إنه سؤال عجيب آه... ها هو سيمون قادم.»
ونهضت عن مقعدها لاستقبالـه وهـي تبتسـم. وبلـغ سيمـون الشرفة، وقفز درجاتها الثلاث بخطوة واحدة وقال:
«آسف إذا كنت قد أبقيتكما منتظرتين، صباح الخير ياجولي.»
وما كادت جولي تراه حتى أحست أن كل رباطة جأشهـا قد انهارت... وعرفت من بريق عينيه أنه يذكر لقاءهما على الشاطىء في الليلة السابقة.
وردت باقتضاب:
«طاب صباحك، أرجو المعذرة يا جيزيلا فسأذهب للمساعـدة في إعداد الافطار.»
كانت العمة لو تعد الفطائر في المطبخ، وقالت:
«هذا الرجل القادم من بربادوس ضخم قوي، وهو يحب الطعام الكثير

لماذا جاء إلى هنا ياعزيزتي؟»
«إنه يريد مقابلة أبي.»
والتهم سيمون أربع فطائر، بينما أكلت هي ثلاثاً، أما جيزيلا فلم تتناول غير قدحين من القهوة السوداء كالعادة.
وقال سيمون وهو يشعل سيكارة وضعتها جيزيلا بين شفتيها:
«أعتقد أنه لا داعي لأن تتبعي نظاماً لانقاص وزنك.»
فأسندت جيزيلا أصابعها ذات الأنامل الوردية على ساعده برهة، ثم قالت بخفة:
«حتى إذا كان المرء يتمتع بجسم جميل، فإن عليه أن يبقيه رشيقاً.»
ثم رمقته بنظرة مستفزة وأضافت تقول:
«أم أنك من هؤلاء الرجال الذين لايلاحظون مظهر النساء؟»
«لايستطيع الانسان ألاّ يلاحظ بعض النساء!»
ورغم قلة معرفتها بالحياة وراء حدود سوليتير فجولي كانت غير راضية عن أسلوب جيزيلا في اختيار الثياب التي ترتديها، وخاصة القمصان الحريرية الضيقة والبنطلونات التي تبدو ملتصقة بجسمها، وطريقة استخدامها لأدوات التجميل والزينة.
وفي تلك اللحظة قالت زوجة أبيها:
«إنك في حاجة إلى بعض الامتلاء ياعزيزتي، ولا أدري لماذا لاتأكلين جيداً، ربما لأنك مخلوقة عصبية، ولكنك يجب أن تحاولي الاسترخاء وأن يكون جسمك أكثر امتلاء، فالرجال لا يحبون النساء الهزيلات، أليس كذلك يا سيمون؟»
«أعتقد أن أغلب الرجال يفضلون المرأة الممتلئة على النحيلة، ولكن لا أرى أن جولي نحيلة، فأكثر الفتيات في مثل سنها يواجهن مشكلة

البدانة.»

ودفعت جولي مقعدها للوراء فجأة وقالت:

«معذرة، إنني ذاهبة للسباحة!»

وبينا كانت تهرع نحو الطريق، سمعت زوجة أبيها تقول:

«إنها الآن في إحدى نوبات غضبها. كنت أتمنى أن أتمكن من كسب ودها، ولو أنها تركتني أساعدها لاستطعت أن أجعلها تبدو جميلة المظهر»

وتمتمت جولي في غيظ:

«وحقاً... انك تحبينني!»

وقضت أغلب فترة الصباح وهي تسبح وتلهو مع بنجي و توسان في البحيرة... وكانت تعتبرهما شقيقين صغيرين لها، ولا تدري لماذا فشل وجهاهما السمراوان بلون الكاكاو، ومرحهما العابث في غزو قلب جيزيلا.

كانت فلسفة جولي بسيطة، فالمخلوقات البشرية كلها متماثلة أساساً مهما اختلفت أشكالها وأحجامها وألوانها. وهي تحب بعض الناس ولا تحب البعض الآخر، ولم يكن الشكل أو الحجم أو اللون هو الذي يهم، بل قلوبهم وعقولهم. جيزيلا تبدو جميلة المظهر، ولكنها باردة قاسية صلبة، بينما العمة لو المكتنزة الذقن التي تزن أكثر من ٩٠ كيلو غراماً تبدو أشبه بقطعة من الحلوى الهلامية عندما تضحك.

ونسيت جولي حزنها خلال الافطار عندما أخذت تلهو مع الطفلين، ولكنها لم تستطع أن تنسى تماماً وجود سيمون تيرنان في الجزيرة، وكانت ترفع يدها بين حين وآخر لتحجب الشمس عن عينيها وهي تنظر باحثة عن أي دلالة على اقتراب سفينة عبر البحر.

وقبل موعد الغداء بساعة أطلقت العمة لو صفارتها التي تستدعي بها أبناءها من جولاتهم حول الكوخ. فتوافد الأطفال، بينما

رقدت جولي على الرمال في إغفاءة قصيرة.

وكانت ناعسة غير نائمة تماماً عندما فتحت عينيها على صوت احتكاك عود ثقاب، وعلى مسافة أقل من مترين، كان سيمون يجلس على الرمال وهو يشعل سيكاراً.

وفكرت لحظة في أن تتظاهر بالنوم، بيد أن فضولها لمعرفة سبب تركه جيزيلا وبحثه عنها جعلها تجلس في مكانها. وقال وهو يميل للوراء مستنداً على أحد مرفقيه:

«ليست هناك أية علامة على عودة أبيك.»

قالت وهي تنفض الرمال عن ساقيها المبتلتين:

«كلا أين جيزيلا؟»

«تبدل ثيابها للغداء.»

وساءلت نفسها: ترى كيف قضى الاثنان الصباح؟ ربما كانا يتحدثان فقط. إنه من نوع الرجال الذي كان ينبغي أن تتزوجه جيزيلا... وإذا كان الزورق ملكاً له حقاً، وفي إمكانه شراء بعض الجزر، فلا بد أنه سليل أسرة غنية في بربادوس، وهي حياة تناسب جيزيلا وتعجبها. ولكن لعلّه من الصنف الذي يبتعد عن الزواج قدر إمكانه، في أي حال إن أباها يقول إن هذه الأسر العريقة متعالية إلى حد رهيب، وهم لايتزوجون من عاملات تشذيب الأظافر في الفنادق، وعندما يريد أحدهم أن يستقر بالفعل فإنه يفعل ذلك مع فتاة من طينته.

وقطع سيمون تفكيرها قائلا:

«لماذا تسمحين لها بإثارتك؟ لو لم تردي عليها لما ضايقتك كما تعلمين.»

لقد كشف إذن حنان زوجة أبيها الزائف، ودهشت جولي لذلك وخطر لها لحظة أنه ربما استشف حقيقة جيزيلا لأنهما من نوع واحد.

فقالت ببرود:

«إنها لم تثرني، ولا أعتقد أن علاقاتنا العائلية من شأنك ياسيد تيرنان، في أي حال لقد ذكرت ليلة أمس أنك توافقها على ما قالته عني...»

فرفع حاجبه في تبرم وقال:

«هل لمست جرحاً مؤلماً في نفسك؟»

وحاولت الظهور بمظهر هادىء، وقالت:

«كلا على الاطلاق، إنني لا أهتم إلا بآراء أبي والعمة لو فقط»

«كنت أتحدث مع العمة لو لتوي، وهي أيضاً تقدرك تقديراً عالياً.»

«أعتقد أنك تحاول تملقها حتى تقبل البقاء إذا استوليت على الجزيرة، ولكن لن أبدد سحرك ياسيد تيرنان، فحتى إذا باع أبي الجزيرة حقاً فلن تبقى العمة لو وهرقل، وإذا رحلنا سيأتيان معنا.»

قال بنظرة ساخرة:

«يدهشني أنك تعترفين بأن لي سحراً، كنت أعتقد أنك تعتبرينني شخصية بغيضة تماماً.»

«إنني أعني سحراً زائفاً.»

فابتسم سيمون، ثم نهض واقفاً وقال وهو يمد يده لها.

«هيا لتسبحي في البحر، إن ذلك سيجعل أعصابك الملتهبة تبرد.»

«هل اقترحت عليك جيزيلا محاولة ممارسة سحرك عليّ أيضاً؟»

وشرع سيمون في فك أزرار قميصه، وكان ينظر إليها بطريقة وجدت من العسير عليها أن تبعد عينيها عنه، فقد كان لنظراته المتفرسة تأثير مغناطيسي عجيب.

وخلع قميصه وعلّقه على كتفه، ثم سألها مستفهماً:

«هل أنت واثقة أنني لن أنجح؟ ترويض جولي تمبل سيكون

إنجازاً رائعاً؟»

وأحست بنوبة فزع فتراجعت للوراء برغم إرادتها، وعندئذ لمع شيء في ضوء الشمس بعيداً على صفحة البحر جذب اهتمامها، فصاحت وقد تهلل وجهها:

«إنه أبي، لقد عاد!»

وقال سيمون:

«الحمد الله...»

فنظرت إليه جولي نظرة تفيض كرهاً، ثم شرعت تعدو نحو الرصيف البحري.

شاهدت جيزيلا الزورق أيضاً، وعندما اندفع من خلال الفجوة بين الصخور، كانت تقف أمام الرصيف مع جولي وهي تلوح له في ابتهاج، وكأنها ودعته وهما على أحسن حال.

وما كاد يهبط إلى الشاطىء حتى سارعت إلى تطويق عنقه بذراعيها وجذبته نحوها وهي تقدم وجهها له ليقبلها، غير مهتمة بوجود الآخرين، وطبع جوناثان على وجهها قبلة سريعة، ثم دفعها عنه برفق، وقال لجولي:

«أهلاً ياعزيزتي، أهلاً ياطفلتي!»

ثم أومأ برأسه نحو سيمون وقال:

«أرى أن لدينا زائراً.»

فقالت جيزيلا:

«أجل، إنه شاب صغير لطيف يدعى تيرنان وقد جاء أمس والتمس الرسو يوماً أو يومين، فسمحت له بذلك، أرجو ألا يكون لديك مانع، إن جولي تحبه، أليس كذلك يا جولي؟»

كانت لهجتها توحي بأن سيمون فتى في مقتبل العشرينات من

عمره وقبل أن تتمكن جولي من الرد، قال جوناثان تمبل:
«كلا... كلا... لامانع لدي.»
وبعد أن فرك ذقنه بيده قال:
«سآخذ دوشاً سريعاً وأحلق ذقني، لابد أننا الآن في وقت الغداء»
لم تتح لجولي فرصة للتحدث مع أبيها قبل لقائه بسيمون، وقد تكفلت جيزيلا بذلك، وكان من الواضح أنها لم تكن تنوي أن تسمح لابنة زوجها بكشف مسألة عرض سيمون لشراء الجزيرة قبل أن تعالجها بنفسها مع جوناثان.
كان جوناثان تمبل مازال في أوائل عقده الرابع، وقد تزوج أول مرة وهو شاب صغير، وكان على قدر ما تذكره جولي، تحيط بوجنته بعض الأخاديد، وهناك تجاعيد حول عينيه عميقتي الزرقة، وبعض الشيب في شعره البني، ومع أنه كان نحيلاً متوسط القامة، فقد كان محتفظاً بلياقته البدنية دائماً بحيث يبدو جسمانياً أقوى من مظهره.
قالت جيزيلا بعد الغداء:
«لقد وعدت ياجولي بمصاحبة السيد تيرنان في جولة الى الخليج الجنوبي. إن لديه جهازاً للتنفس تحت الماء.»
والتفتت لزوجها قائلة:
«يريد استكشاف السلسلة الصخرية، تبدو منهكاً ياعزيزي فلماذا لاتغفو قليلاً بعد الظهر؟»
فابتسم جوناثان وقال
«أجل، أشعر حقاً بالتعب، سوف أراكما خلال العشاء.»
«سوف أنال أيضاً قسطاً من الراحة، فالجو حار اليوم.»
ونهضت جيزيلا حيث أخذت بعض المجلات من فوق مائدة القهوة وقالت لسيمون:

«شكراً لاحضارك هذه المجلات من الزورق، فستجعلني سعيدة بضع ساعات.»

وتثاءبت ثم أردفت تقول:

«هذا إذا لم أستغرق في النوم قبل أن أفتحها. أتمنى لكما وقتاً طيباً...»

وتبعت زوجها الى غرفة النوم.

دفعت جولي مقعدها للوراء، وبدون أن تنظر إلى سيمون قفزت تهبط درجات الشرفة وسارت في الممر المتجه نحو الطريق الذي يؤدي إلى نتوء الجبل الشرقي.

وبعد أن سارت عدة دقائق بسرعة وهي تحني رأسها تحت الأغصان المنخفضة وتدفع بيدها الشجيرات الصغيرة، توقفت فجأة وهي ترهف السمع، ولكنها لم تسمع صوت سيمون خلفها. فتنهدت ثم واصلت السير ببطء أكثر.

ولم تهتم جولي بمعرفة كيف قضى سيمون فترة بعد الظهيرة، فقد ظلت في الخارج حتى بدأت الشمس تميل نحو المغيب. فشقت طريقها عائدة إلى البيت حيث كان والدها بمفرده في الشرفة.

وقال بعد أن جلست بجواره:

«إن لتيرنان زورقاً جميلاً.»

«أجل.»

«هل صعدت إليه؟»

فهزت رأسها قائلة:

«ألم تقل لي ألاّ أصعد إلى أية سفن ابداً؟»

فابتسم قائلاً:

«أجل... وعلى أي حال فتيرنان ليس من النوع الذي أقصده.»

«وكيف تعرف؟ إنك قابلته للتو.»

فأمسكت يده ومررتها على وجنتها، وتابعت:
«إنني سعيدة بعودتك يا أبي.»
وبدت تقطيبة زادت جبهته تجعيداً، وقال:
«لن أبقى طويلاً، فهناك تلك الرحلة اللعينة إلى نيويورك، ولا بد أن أظهر في هذه المناسبات بين حين وآخر، وسوف تتمتع جيزيلا بالرحلة، هل تريدين الحضور ياجولي؟ يمكنك ذلك إذا أردت كما تعلمين.»
«كلا، لا أظن أنني سأحب نيويورك، وسأكون سعيدة جداً هنا مع العمة لو وهرقل.»
«ولكنك لاتستطيعين البقاء في سوليتير إلى الأبد ياحبيبتي.»
فقالت لنفسها: كلا، كلا أرجوك، لا تقل إنك تفكر في بيعها، لاتسمح لها بدفعك إلى ذلك، فقد كنا سعداء دائماً هنا.
ثم قالت له بصوت مرتفع:
«ليس إلى الأبد، كما أعتقد.»
وغيرّ الموضوع بعد ذلك، فأحست براحة تملأ نفسها، ولكنها كانت تعرف أن الأمر مؤجل فقط، إذ ستعمل زوجة أبيها بعد العشاء على ترتيب بقاء الرجلين معاً لكي يقدم سيمون عرضه، ثم يقرر أبوها القبول او الرفض.
وكما تنبأت جولي، ما كاد الطعام ينتهي في المساء حتى قالت جيزيلا:
«تعالي معي لكي تعدلي ذيل فستاني الأزرق ياجولي.»
وتبعتها جولي إلى غرفة النوم، حيث أغلقت جيزيلا الباب خلفها، واستلقت فوق الفراش ثم قالت:
«لاأريد في الحقيقة تعديل ذيل الفستان، ولكنهما سيناقشان عملاً

بينهما.»

وأشعلت سيكارة وقالت:

«أعتقد أن سيمون ذكر لك أنه يريد شراء المكان؟ تدهشني معارضتك، لاشك أنك بحثت الأمر مع أبيك عندما كنتما بمفردكما.»

فقالت جولي بهدوء:

«كلا، لم أشر إلى الموضوع.»

«حقاً؟ إنك تثيرين دهشتي، لا لأنك كنت ستؤثرين عليه، فقد أقنعته فعلاً بأنه من صالحنا جميعاً أن نكف عن تمثيل رواية عائلة روبنسون كروزو فسوف يحسم هذا المسألة.»

قالت جولي:

«إذا كان أبي يريد ماتريدين، فأين تودين الذهاب؟»

فهزت جيزيلا كتفيها وقالت:

«لم أقرر بعد، ربما إلى جامايكا.»

«ولماذا لاتذهبين إلى نيويورك أو لندن، أو إلى أي مكان في العالم؟»

«كلا، إن الشتاء البارد لايلائمني. كما أن المرء لايجد خدماً بأجر رخيص هناك، ربما كانت ناساو مسلية. ولكني لم أفكر بعد في ذلك.»

كانت تتحدث وكأنما المسألة أصبحت حقيقة واقعة، وارتعدت جولي وانتابها شعور بالغثيان، ثم جلست على مقعد وأمسكت ببعض المجلات التي أحضرها سيمون.

وأخيراً، وبعد أن ظلّ الرجلان يتحدثان حوال ساعة سمعت المرأتان صوت سيمون يقول:

«طابت ليلتك، سأراك في الصباح»

وبعد لحظات فتح الباب ودلف جوناثان إلى غرفة النوم، فسألته جيزيلا على الفور:

«حسناً، كم عرض؟»

فقال جوناثان في اقتضاب وقد قطب جبينه:

«عرض ثمناً طيباً، ولكني أود محادثة جولي على انفراد، إذا لم تمانعي.»

«كلا على الاطلاق.»

وبعد أن أصبح جوناثان وابنته بمفردهما، قال لها:

«أتعرفين أن تيرنان يريد شراء المكان؟»

فأومأت برأسها، وقالت:

«وهل قبلت عرضه ياأبي؟»

«أحتاج إلى بعض الوقت للتفكير، أخبرته أنني سأبلغه بقراري لدى عودتنا من نيويورك.»

وانحنى للأمام ووضع إحدى يديه على ركبتها السمراء النحيلة، وقال:

«لاداعي لكل هذا الحزن ياصغيرتي، إنني أعرف مدى حبك لسوليتير، ولو كنت لاتزالين صغيرة لرفضت عرضه فوراً، ولكنك الآن ناضجة ياجولي، ولا يمكن أن نمضي حياتنا هنا إلى أجل غير مسمى، ولو حدث لي شيء، فستكونين في مهب الريح، فأنت غير مدربة على أي عمل، ولا أقارب أو أصدقاء تذهبين إليهم.»

فاعترضته قائلة:

«ولكن ماذا يمكن أن يحدث، إنك لست مسناً ياأبي، فأنت مازلت في الثالثة والأربعين؟»

«هناك أشياء أخرى، كالحوادث، كما أن هناك جيزيلا ولابد من مراعاتها ياصغيرتي، وهي ليست سعيدة هنا. إنني أعلم أنك لست على وفاق معها، ولكنها زوجتي وعليّ واجب حيالها.»

«ولكن ماذا عنك أنت؟ إنك الشخص الذي يهمني، فأنت تكره الأماكن الصاخبة المزدحمة، وماذا ستفعل بشأن عملك؟ هل تستطيع أن ترسم في مكان يجتاحه السواح؟»

«لسنا مضطرين للاقامة في قلب أي مدينة يا جولي، وكل ماتريده جيزيلا هو أن تكون على مقربة من مكان ينبض بالحياة، وهو أمر معقول كما تعلمين، فهي ليست معتادة على عزلة هذا المكان.»

وسألته بصوت مرتفع:

«وماذا بشأن العمة لو وهرقل؟»

«أكدّ لي تيرنان أنني إذا قبلت عرضه فسيضمن لهما مكاناً مناسباًاذا شاءآ البقاء.»

وقفزت جولي واقفة، واتجهت نحو حاجز الشرفة وهي تحس بضيق وانحدرت الدموع على وجهها، وقالت بصوت هامس:

«لقد حزمت أمرك إذن؟»

«كلا، بل قلت إنني سأفكر في الأمر خلال غيابي.»

واقترب منها وأحاطها بذراعه قائلاً:

«لاتبكي ياعزيزتي جولي، لن ينتهي العالم إذا رحلنا، أعدك بذلك.»

فقالت لنفسها، ستكون نهاية عالمي أنا، إن عالمي هنا حيث أشعر بالأمن والسعادة.

واقتربت من أبيها ووضعت جبهتها على كتفه قائلة:

«آسفة لمعارضتي، ولكن كل شيء حدث فجأة، وفكرة الرحيل من هنا تخيفني.»

فاحتضنها مطمئناً إياها:

«انت لاتخافين أسماك القرش والموراي، وهي أخطر كثيراً من الناس.»

كان آل تمبل عندما يغادرون سوليتير في الماضي، ينتقلون في قارب

هرقل الشراعي شمالاً إلى سان فنسانت. وكان هرقل يستخدم المحرك لتوفير الزمن، ولم تكن أية شركة هامة للخطوط الجوية تقوم بخدمة سان فنسانت، بينما كانت الخدمات الجوية الحكومية تقوم بتسيير طائرة برمانية تربط الجزيرة بالجزر الأخرى التي فيها مطارات. ولكن عندما اشارت جيزيلا إلى زيارة نيويورك أثناء الافطار في الصباح التالي. عرض سيمون أن يأخذها مباشرة إلى بربادوس في زورقه المريح سيفيرار. ورحبت جيزيلا في ابتهاج، بينما شكره جوناثان.

ونظر سيمون إلى جولي قائلا:

«أعتقد أنك سعيدة أليس كذلك؟ إن نيويورك مدينة مثيرة.»

فردت بخشونة:

«لست ذاهبة.»

فرفع حاجبيه دهشة والتفت إلى أبيها قائلاً:

«هل تنوي تركها بمفردها هنا؟»

وتدخلت جيزيلا قائلة:

«إنها لاتريد الذهاب معنا، وستكون في أمان تام مع الخدم، كما أننا لن نغيب أكثر من أسبوع أو عشرة أيام.»

«ولكن إذا حدث أمر طارىء، كالمرض مثلاً، هل يعرف خدمك ما يفعلون؟»

فقالت جولي ببرود:

«لم أمرض ابداً في حياتي.»

وقال أبوها:

«هرقل وزوجته يمكن الاعتماد عليهما تماماً، وكثيراً ما بقيت جولي هنا بمفردها، ولايساورني أي قلق عليها.»

«ولكنها ليست آمنة تماماً. فهناك أناس لا ضمير لهم يطوفون بهذه المياه.»

فقالت جولي:

«اجل، ولكنك أولهم. أعني أول غريب يحضر هنا ياسيد تيرنان.»

وسمعت جيزيلا تتنفس بغضب، بينما ازداد وجه سيمون الأسمر تصلباً.

وانطلقت جيزيلا تقول بلهجة غاضبة:

«حقاً ياجولي إنك...»

ولكنها قاطعتها قائلة:

«لم أكن أقصد.»

ثم توقفت فجأة ونظرت إلى أبيها في ارتباك، وكان هو يعتقد بوضوح أنها زلة لسان من ابنته. بينما بدت جيزيلا في وضع عدواني، أما سيمون فبدا في عينيه بريق كان كفيلاً بإثارة رعبها لو كانت بمفردها معه.

وقالت:

«إنه كرم عظيم منك ياسيد تيرنان أن تهتم بمصلحتي إلى هذا الحد، ولكن لاداعي حقاً للقلق عليّ، ولو كنت بمفردي هنا عند وصولك لرفضت السماح لك بالنزول للشاطىء. فالمظاهر يمكن أن تكون خادعة جداً، وأنا على ثقة من أن أبشع أسماك القرش يمكن أن تتحوّل إلى أشياء ساحرة عندما تريد.»

ثم اعتذرت للذهاب لاحضار بعض الزهور لمائدة الغداء، وكانت أثناء سيرها نحو وسط الجزيرة تأمل في أن تكون قد أغضبت سيمون فعلاً حتى لا يأتي خلفها.

ولم تر أية علامة على وجوده طوال فترة الصباح، كما أنه لم ينضم

إليهم عند الغداء، وقال والدها إنه كان منهمكا في القيام بإصلاحات طفيفة في محرك الزورق.

وجاء سيمون فعلاً للعشاء، ولكنه لم يوجه لها أي حديث، وعرفت من حديثه مع أبيها أنها كانت على حق في افتراضاتها عنه، إذ كان أجداده قد استوطنوا بربادوس في القرن السابع عشر، وتمتلك الأسرة الآن مزرعة لقصب السكر ومعملاً للتقطير.

واعتذرت جيزيلا بعد الطعام لكي تحزم حقائبها استعداداً لرحلة اليوم التالي، بينما انتقل جوناثان وسيمون للجلوس على المقاعد المريحة المصنوعة من الخيزران في طرف الشرفة، وساعدت جولي العمة لو في تنظيف المائدة.

لقد أدهشها أن والدها بدأ يميل إلى سيمون، وغادر جوناثان الشرفة بضع دقائق، فاستدار سيمون إليها وسألها وفي عينيه بريق تهكمي:

«أشعر بإحساس غريب مستمر في مؤخرة عنقي، هل تسلطين العين الشريرة علي ياجولي؟»

فقالت:

«إنني لا أتمتع بهذه الموهبة لسوء الحظ.»

«لماذا لا تسألين طاهيتك، قد تكون لديها قوى غامضة؟»

«لقد حصلت على ما تريد، ولا بد أنك تشعر بالرضى.»

«لم يتم شيء، والدك لم يبت في الأمر بعد.»

قالت في مرارة:

«سوف يبيع، إنه لا يريد ذلك ولكنه سيبيعها، وكل ما أرجوه هو أن تتمتع بالمكان هنا ياسيد تيرنان، لو كنت مكانك لما شعرت بمتعة، ولكن لعلك لاتسمح لوخز الضمير بأن يزعجك.»

فنهض واقفاً، واتجه نحوها قائلاً:

«إنك حقاً شيء صغير مزعج، فأنت تتحدثين وكأنني أقوم بعملية احتيال من نوع ما. إن الثمن الذي عرضته عادل، وهو ليس مضطراً لقبوله.»

«ولكنك تعرف أنه واقع تحت ضغط ولهذا تستغل الموقف.»

وعاد أبوها بعد قليل فذهبت جولي إلى مخدعها.

بدت جيزيلا في أكثر حالاتها بهجة خلال الافطار في اليوم التالي، بينما أحست جولي وكأنه قد حكم عليها بالسجن المؤبد، ولم تبق أمامها غير فرصة ضئيلة لكسب الاستئناف.

أملها الوحيد الباقي هو أن الاسبوع الذي سيقضيه أبوها في نيويورك قد يجعله على الأقل يقاوم رغبة جيزيلا في الانتقال إلى جامايكا أو ناساو.

كانت الساعة الثامنة عندما نقل هرقل الأمتعة في قارب ذي مجذافين الى الزورق سيفيرار، بينما نقل سيمون الباقي في القارب الخاص بالزورق . وبينما كان يرفع حقيبة ثياب جيزيلا، قالت جولي لأبيها:

«أتمنى لك وقتاً طيباً يا أبي، اهتم بنفسك.»

فضمها إلى صدره لحظة وقال:

«وداعاً يا صغيرتي.»

ثم أضاف شيئاً عجيباً، فقد قال في رفق وهو يخلي سبيلها:

«اغفري لي ياجولي!»

وقالت جيزيلا بصبر نافد وهي تربت على وجنتها:

«وداعاً ياعزيزتي.»

وودعت جولي تيرنان، فقال وهو يساعدها على النزول إلى القارب

الصغير:

«إلى اللقاء ياجولي.»

ومد يده إليها... ولكنها تجاهلتها عن عمد، وقالت :

«أشك في أننا سنلتقي مرة أخرى.»

فأنزل يده وقال بدون ارتباك:

«قد لانلتقي، ولكن سيكون شيئاً طريفاً أن أراك بعد اثني عشر شهراً عندما تلين طبيعتك الخشنة!»

وقفزت جولي تحت الماء بثوب الاستحمام الذي كانت ترتديه، ثم صعدت حيث يستطيع هرقل رفعها إلى القارب.

وبعد عشر دقائق، كان الزورق البحري سيفيرار يتجه شمالا وقد لمع هيكله في ضوء الشمس، وترك في أعقابه زبدا أبيض عريضاً.

وفي اليوم التالي قررت جولي الذهاب بالقارب إلى أوراغان والعودة منها، لأن هرقل لن يذهب للصيد في هذا اليوم.

وقالت لها العمة لو عندما ذهبت لتحصل على صندوق غذائها:

«إنه مكان سيء ياحبيبتي، وسأشعر بالقلق عليك وأنت هناك.»

«إنك لم تذهبي هناك ابداً ياعمة لو، فهي لا تختلف عن سوليتير.»

«هناك أرواح شريرة في تلك الجزيرة.»

فابتسمت جولي وقالت وهي تحتضن العمة لو:

«سأعود قبل الغروب، فلا يساورك القلق.»

كان صباحاً منعشاً، عليل النسيم، عندما اقتربت من صخور جزيرة أوراغان، في العاشرة صباحاً... وقد سميت الجزيرة بهذا الاسم الفرنسي ومعناه الاعصار، بعد أن اجتاح أحد أعاصير الكاريبي الرهيبة الجزيرة في القرن الثامن عشر وقضى على أسرة كاملة من المستوطنين الفرنسيين وعبيدهم.

البيت الذي ذكرته جولي لسيمون عبارة عن أنقاض متهاوية لاسقف لها، وقد بني من الأخشاب مثل بيت آل تمبل، وكان من الممكن أن يختفي منذ وقت بعيد لولا أنه أقيم على كتل ضخمة من الصخور المرجانية ولذلك عاشت بعض جدرانه مائتي عام. واكتشفت جولي مخزناً للشراب تحت المنزل، وقد اختفت الدرجات المؤدية إليه بالشجيرات القصيرة، ولكنها استطاعت أن تقتطع تلك الأغصان بالسكين الضخمة التي يحتفظ بها هرقل في قاربه، وبدا الباب الخشبي للقبو سليماً.

وتطلب الأمر قدراً كبيراً من الشجاعة لهبوط الدرجات واقتحام الباب بالقوة، وكان كل ماوجدته قبواً صغيراً رطباً عفن الرائحة تتناثر على أرضه بعض زجاجات فارغة. والشيء الذي أثار حيرتها، هو لماذا لم يلجأ سكان البيت المنكوبوا الحظ إلى القبو عندما أدركوا أن الاعصار مقبل؟ لابد أنه اجتاح الجزيرة فجأة.

ورغم تاريخ الجزيرة المفجع، واعتقاد أبناء جزر الهند الغربية بأنها مسكونة بالأرواح الشريرة، فقد كانت أوراغان تبدو تحت أشعة شمس الصباح الساطعة مكاناً جميلاً هادئاً ككل جزر الغرينادين الأخرى. أمضت جولي ساعتين في الغوص تحت الماء على طول السلسلة الصخرية... وعند الظهر تسلقت شجرة نخيل كما علمها هرقل منذ سنوات، وأسقطت بضع ثمرات من جوز الهند لتجد شيئاً تشربه مع غذائها.

وعقب تناول الطعام، رقدت للراحة ساعة، ولكنها استغرقت في النوم...

وعندما استيقظت، أدركت على الفور أنها تشعر ببرد شديد، وفتحت عينيها وهي تتثائب ثم قفزت على قدميها بسرعة وهي تغمغم في هلع.

لقد تبدل كل شيء، السماء الزرقاء أصبحت رمادية مكفهرة بالغيوم، والأمواج العالية الثائرة أخذت تجتاح المضيق وترتطم بالصخور، بينما كانت الرياح الباردة تهز سعف النخيل.

ونظرت جولي إلى ساعتها، لقد نامت حوالي ثلاث ساعات، وأدركت من منظر المياه أن عليها العمل بسرعة للعودة إلى سوليتير قبل أن تشتد العاصفة البحرية على القارب الصغير في المضيق... وبسرعة هرعت نحو حافة الماء وسبحت نحو القارب، ولكنها عندما رفعت جسمها داخله ونظرت نحو القناة التي تتخلل الصخور أطلقت صيحة هلع حقيقية.

كانت الفتحة أضيق كثيراً من مثيلتها بين صخور سوليتير، ومن المستحيل المرور منها، إنها تستطيع المحاولة، ولكنها سوف تصطدم بالتأكيد بتلك الأطراف الصخرية الحادة الكامنة تحت المياه المضطربة المزبدة.

وأدركت أنه كتب عليها أن تبقى محصورة حتى ينتهي الاعصار. وقالت لنفسها: إذا لم أعد للمنزل قبل العشاء فستصاب العمة لو وهرقل بنوبة جنون!

وأمنت وضع القارب قدر استطاعتها، ثم سبحت عائدة للشاطىء بدون ثياب أو منشفة، بينما كانت الرياح تثير القشعريرة في جسمها.

وقبعت وراء صخرة تحميها من مهب الريح وهي ترتعش.

وكان الشيء الذي تعرفه، هو أنه على امتداد ساحل الأطلنطي الشمالي من ترينيداد إلى بلتيمور كانت السفن ومحطات اللاسلكي على الشواطىء تذيع الرسالة المشؤومة: احذروا الاعصار.

٣ ـ وانطلق الجحيم!

ظلت تراقب القارب وهو يناضل فوق سطح البحيرة التي تزداد اضطراباً حوال ربع ساعة، وبدأت أسنان جولي تصطك، وأدركت أن الأمر ليس مجرد رياح شديدة قصيرة، بل إنها قد تستمر عدة ساعات، ولا بدّ لها من الالتجاء إلى القبو تحت أطلال البيت.

وتذكرت لفافة الطوارىء التي نسيتها في درج سترة النجاة بالقارب وتحوي معدات الاسعافات الأولية إذا واجه المرء متاعب في مكان لا أحد فيه يساعده. وكان عليها أن تسبح مرة أخرى إلى القارب، حيث واجهت صعوبة هذه المرة في ركوبه بدون أن ينقلب في الماء، وعندما عادت إلى الشاطىء، كانت الرياح باردة كالثلج، فهرعت إلى أطلال البيت القديم.

وأول ما فعلته لدى وصولها إلى القبو أن فكت اللفافة وأخرجت منها شمعة وعلبة ثقاب، وبعد أن أصبح ملاذها تحت الأرض مضاءاً بالوضع الغريب، خلعت ثوب استحمامها، ثم قامت ببعض التمرينات الرياضية لاعادة دورتها الدموية إلى طبيعتها.

وتمنت جولي لو أنها قد ادخرت بعض الطعام... وجلست على الأرض مستندة إلى جدار القبو، وهي تسائل نفسها... ترى إلى متى ستظل محصورة هنا؟ الساعة الخامسة الآن، وحتى إذا بدأت العاصفة

في الهدوء بسرعة، فلن يكون هناك أمل في العودة إلى سوليتير قبل حلول الظلام، بينما تكون العمة لو وهرقل في فزع شديد.

وبعد أن قضت ساعة في القبو بمفردها، أحست بأنها قد لا تجد الشجاعة على الزحف للخروج من هذا الجحر في الظلام إلى البحيرة بعد أن تهدأ العاصفة، وسمعت صوت شيء يسقط كالرعد في الخارج فاستبد بها الرعب وكادت تصرخ لولا أن وضعت يدها على فمها، ثم أدركت أن هذا الصوت لابد أن يكون من شجرة اقتلعها الاعصار.

وفجأة فتح الباب بقوة، وفي الثواني التي سبقت هبة الريح التي أطفأت الشمعة، لمحت الشبح الطويل الأسود اللامع الذي يواجهها... ثم ساد الظلام فصرخت وأحست بركبتيها تتهاويان.

وعندما استعادت وعيها، كانت الشمعة مضاءة، وهي راقدة على الأرض بينما انحنى سيمون تيرنان فوقها!

وقال برفق:

«كل شيء مايرام، أنت الآن في أمان تام، لاتفزعي، خذي رشفة من هذه.»

وقبل أن تتمكن من استعادة صوتها، وضع ذراعاً تحت كتفيها ورفعها قليلا وهو يمسك القنينة أمام شفتيها.

وابتلعت جولي جرعة من الشراب، وبدأت تسعل... فأجلسها سيمون ثم ربت على ظهرها حتى توقف السعال وفتحت فمها لتتنفس، كانت تهتز في ارتباك وهي تنظر إليه بينما كان يخلع سترته الصوفية وبنطلونه الطويل ويبقى بقميص وبنطلون قصير، ودفع إليها بما خلعه لكي ترتديه. وارتدت جولي في بطء وارتباك السترة الصوفية الدافئة، وكان بنطلونه طويلا جداً على ساقيها، فأعطاها حبلا ربطته به حول وسطها ثم ركع ليرفع أطراف ساقي البنطلون قليلا.

وقالت له وهي تنظر إليه:
«ماذا تفعل هنا؟ كان يجب أن تكون في بربادوس ؟ أين أبي وجيزيلا؟»
فانتصب واقفاً وقال:
«في نيويورك كما أعتقد. غادرا بربادوس في ساعة متأخرة من ليلة أمس، وعندما عدت إلى سوليتير وجدت العمة لو وهرقل في حالة يرثى لها. هل حدث شيء لقاربك؟ لماذا لم تعودي عندما بدأ الجو يكفهر؟»
«كنت سأفعل ذلك لو رأيته، ولكني كنت مستغرقة في النوم...»
«آسف إذا كنت قد أثرت رعبك. أتحبين جرعة أخرى من الشراب؟»
«كلا شكراً. انا الآن على مايرام. ولكن لماذا عدت إلى سوليتير؟»
«أضعت ساعتي وهي ساعة ممتازة. فظننت أنني ربما تركتها في الجزيرة.»
«كان ذلك من حظي، ولكن كيف استطعت المرور خلال الصخور بزورقك من تلك الفتحة الضيقة؟»
«هناك فتحة أكثر اتساعاً في الجانب الشمالي، كانت مغامرة، ولكنها نجحت.»
«أجل، كانت مخاطرة إذ كان من الممكن أن تتمزق ارباً...»
«لم أستطع العودة إلى سوليتير بمفردي، فقد وعدتهم بإعادتك.»
«وهل ستعود إلى المغامرة مرة أخرى، أم ننتظر حتى تهدأ هذه الرياح؟»
وكان الاثنان مضطرين إلى التحدث بصوت مرتفع بسبب ضجيج العاصفة، بينما كان الجو يزداد سوءا كل دقيقة. وبعد ثانية واحدة من سؤالها، سقطت شجرة ضخمة أخرى، فصاح في وجهها:
«هل أنت مجنونة؟ هناك إعصار مقبل قد يجتاحنا في أية لحظة. ابتعدي عن الباب، لأنه قد يندفع إلى الداخل.»

«إعصار!»

وشحب وجه جولي وهي تفكر في العمة لو وهرقل والأطفال الذين ليس لديهم فجوة للالتجاء إليها مثل هذا القبو. وصاحت تقول:
«ماذا سيفعلون؟ وأين يختبئون؟»
«لقد ذكرت لهرقل ماذا يجب أن يفعل. تعالي واجلسي. هل أنت جائعة؟»

أحست جولي بالجوع قبل ذلك، ولكنها ليست جائعة الآن إذ كان القلق يشغل بالها على الآخرين. وجلس سيمون بجوارها ووضع في يدها شطيرة من الجبن. فأخذت تأكلها بدون أن تشعر بأي مذاق بينما كانت تبتهل إلى الله حتى لا يهب الاعصار على سولمتير. إن العاصفة التي تزمجر الآن فوق جزيرة أوراغان لاتقارن بما في قلب الاعصار من ضراوة. مدن بأكملها يمكن أن تخرب. وسيارات تتطاير في الجو كعلب الثقاب. وقوارب تتحطم إلى قطع صغيرة، ومنازل تدمر وتتحول إلى أنقاض. ومع العواصف الشيطانية تأتي موجات المد الوحشية التي تجتاح كل شيء في طريقها.

وبدأت ترتعش من البرد وتوترت أعصابها. أحس سيمون بالرعشات التشنجية التي تسري في جسدها، فأجبرها على ارتشاف المزيد من الشراب. وعندما استمرت الرعشة، جذبها بين ذراعيه وقال:
«لاتجزعي. إنني أحاول تدفئتك فقط»

والتصقت به مثلما كانت ستفعل مع أبيها، أو مع هرقل لو كان أحدهما هنا. وعندما سرى الدفء في أوصالها وهي بين ذراعيه وحرارة جسمه القوي، هدأت نفسها وأخذت حيويتها تعود تدريجياً.

وفجأة اجتاح الاعصار الجزيرة!

وانطلق الجحيم. ودارت المعركة الفاصلة بين قوى الشر والخير.

وعندما انتهى كل شيء، لم يبق غير السكون والخواء، والدمار الكامل قال سيمون:

«سنرى الآن مدى التلف الذي حدث. أشك في أن تكون القوارب قد نجت من هذا الاعصار.»

وبينما كان يتجه صوب الباب نادته بسرعة:

«انتظرني. ساقي لاتزال نائمة.»

وعاد ليساعدها على الوقوف، وظل يسندها حتى عاد الاحساس إلى قدمها.

ثم قال:

«يدهشني أن الباب ظل في مكانه. ويعلم الله أي دمار سنراه في الخارج.»

ولم يكونا بحاجة إلى النظر بعيداً. فقد بدأ الخراب على الجانب الآخر من الباب، حيث كانت هناك شبكة من الأغصان المتكسرة تسد درجات القبو.

وبعد أن أضاء المصباح الصغير عدة دقائق. دفع سيمون الباب بقوة فأغلقه وقال:

«أخشى أننا سنضطر للبقاء هنا حتى ضوء النهار.»

«لماذا»

«أعتقد أن هناك شجرتين على الأقل تكومتا في الخارج، ولا يمكننا المغامرة بالخروج إلى أن نرى ماذا نفعل. وأظن أن أغصان الشجرتين مستندة إلى شيء ما وإذا سقطت فسوف نحبس تحتها.»

«ولكن يجب أن نعود إلى سوليتير فقد يحتاج الآخرون إلينا.»

واندفعت نحو الباب. فأمسك كتفيها بخشونة وقال بحدة:

«يجب أن ننتظر حتى ضوء النهار. فبدون قوارب سنضطر للسباحة.

ولكن ليس في الظلام.»

«ربما كانت القوارب في حالة جيدة. إنني خارجة الآن ولن يمكنك إبقائي.»

فدفعها نحو الجدار وأمسك بها قائلا:

«بل يمكنني، لاتكوني حمقاء أيتها الفتاة، لقد صمدت حتى الآن بصورة رائعة، فلا تنهاري الآن.»

«دعني أذهب.»

«إذا لم تكفي عن ذلك فسوف تجبرينني على أن اؤذيك... ياجولي.»

وفجأة مزق السكون صوت سقوط هائل بطيء في الخارج، فضمها سيمون نحوه بقوة، وأبعدها عن الباب قبل أن يخترقه غصن شجرة ضخم كان من الممكن أن ينفذ من جسميهما معاً.

وتهاوت في ضعف شديد، وقال بعد لحظة:

«هل رأيت ماذا كنت أعني؟»

«أجل ، آسفة.»

«سنخرج من هنا مع أول أضواء النهار، وفي غضون ذلك سوف نحتاج إلى بعض النوم.»

فقالت وهي تتنهد:

«سوف أنام، فإنني أشعر بإرهاق تام.»

فرقدت على مقربة من طرف المعطف وأسندت رأسها على ذراعها وقالت:

«إنني أنام عادة ووجهي لليسار. طابت ليلتك.»

«طابت ليلتك ياجولي.»

وسمعته يتحرك دقيقة أو اثنتين، بينما كان يدق جدران القبو بأصابعه، وكأنه يتفحص البناء، ثم انطفأت الشمعة ، واستقر بجسمه

إلى جوارها على مشمع المعطف. ولكن ظهره لم يكن نحوها، وقال:
«استمعي إليَّ، في مواقف كهذه على الانسان أن يضع الادراك السليم قبل التقاليد، إن الليلة باردة وليس لدينا أغطية صوفية، وعلى كل منا أن يبعث الدفء في الآخر.»

ثم أحاطها بذراعه اليمنى.

أحست برعدة شديدة وخوف عندما قربها من جسمه في المرة السابقة، أما الآن، فكيف تقضي الليلة بين ذراعي رجل لم تلتق به إلا منذ خمسة أيام، إنه شيء لايمكن أن تتقبله بهدوء.

صحيح أن الادراك السليم يتطلب أن يناما متقاربين، ولكن ذلك لم يقلل من ثورة أعصابها. وأحس بتوترها فقال ساخطاً:
«بحق السماء استرخي يافتاة. لم أنم غير أربع ساعات في الليلة الماضية وأشعر بتعب وجوع شديدين، ولهذا يمكنك أن تنسي أية أفكار غريبة قد تكون جيزيلا غرستها في رأسك، والآن هيا إلى النوم، طابت ليلتك...»

عندما هزها سيمون ليوقظها في الصباح، ظنت أنها في بيتها بجزيرة سوليتير، وأخذت تحدق بعينيها فيه وهي مازالت تحت تأثير النوم وتتساءل ماذا يفعل بغرفة نومها؟

ثم تذكرت ماحدث، وسرعان ماجلست في إجفال.

وقدم لها سيمون قدحاً من الشاي الساخن، وبعد أن أخذت رشفة تنهدت في ابتهاج فقال لها:
«هناك أنباء طيبة، إن سيفيرار لم يصب بأي تلف، ويمكننا العودة إلى سوليتير خلال نصف ساعة.»
«ما أروع ذلك ياسيمون.»
«أخشى أن الأنباء ليست طيبة بالنسبة لك، فقد تحطم قاربك تماماً.»

«إنه في أية حال قارب قديم لايساوي كثيراً. أما زورقك فلا بد أنه يساوي ثروة. إنني أشكرك ياسيمون على حضورك. كنت ليلة أمس في فزع شديد.»

وجمع سيمون لفافة الطوارىء التي كانت معها. ومعطفه البحري ووضعه مع الزجاجة في كيس من القماش علقه على كتفه وقال:

«سيكون الخروج من هنا مسألة تحتاج إلى بعض الحذر. إذ يبدو أن الشجرتين الساقطتين قد استقرتا بشدة في مكانهما.»

وبعد أن صعدا الدرجات، وأخذا يدوران في متاهة الأغصان التي تسد المدخل، شاهدت جولي ماذا فعل الاعصار بالجزيرة التي تحمل اسمه. لم تكن هناك شجرة واحدة واقفة. وكأن آلة بولدوزر عملاقة أطاحت في لوثة جنون بكل ما في الجزيرة، وسحقت كل شجيراتها البرية الجميلة، وخلفت وراءها دماراً وفوضى. وانهارت البقايا الأخيرة لجدران البيت القديم تحت وطأة هجوم الاعصار. واختفى الموقع كله تحت الأغصان المحطمة.

وساعدها سيمون على التسلق فوق جذوع الأشجار الساقطة حتى بلغا الشاطىء الشمالي. وقد أبهجها قليلا منظر سيفيرار وهو يرسو في البحيرة الهادئة.

وفي الوقت الذي أوشكت فيه على الانتهاء من إعداد الافطار والشاي بدأت محركات الزورق تهدر، وانطلقا بسرعة صوب سوليتير.

وبينما كانا يقتربان من جزيرة سوليتير، قال لها:

«يبدو أن سوليتير قد نالت هي أيضاً نصيبها من الاعصار. ولكن البيت مازال قائماً.

وكانت العمة لو وهرقل والأطفال في انتظارها على الرصيف البحري عندما أخذ الزورق ينزلق من خلال القناة إلى البحيرة. واستبد

الفرح بالعمة لو حتى انسابت الدموع على وجنتيها وهي تمد ذراعيها وتضم جولي إلى صدرها وتتمتم:
«ياحبيبتي، ظننت أنني لن أراك مرة أخرى.»
وقال هرقل وهو يعتصر يد سيمون في يده:
«أنت رجل شجاع يا كابتن كنت اعرف انه لن يستطيع غيرك إعادة جولي من تلك الجزيرة بعد هبوب الاعصار.»
«لا داعي للقلق ياعمة لو، فجولي لم يصبها أي أذى، هيا نرى ماحدث من خسائر هنا.»
وبرغم أن سوليتير قد نجت من الدمار الذي أصاب أوراغان، إلا أنها لم تفلت تماماً من آثار الاعصار، إذ أن بيت آل تمبل الذي كان يبدو من البحر سليماً، طار جزء من سقفه، وأصبحت غرفة نوم جولي مكشوفة للسماء وابتل الفراش تماماً بماء المطر، كما فقدت غرفة عمل أبيها جزءا من سقفها، وتناثرت لوحاته وعدة الرسم على أرضها. أما غرفة النوم الرئيسية فقد فقدت بابها ونوافذها وسقطت خزانة ملابس جيزيلا...
ومع أن المطبخ الذي يقع في مؤخرة البيت كان لايزال قائماً، فإن كوخ العمة لو انهار. وعندما نظرت إليه جولي في هلع، قالت لها العمة لو:
«إنها ليست مأساة ياحبيبتي، وسرعان ماسيبني هرقل مكاناً جديداً، ولكن بعد أن يرمم منزلكم أولا.»
وقال سيمون الذي كان يتحدث خلفهما مع هرقل:
«اهم شيء الآن هو إبلاغ أبيك في نيويورك أن الجميع هنا في أمان. سأتصل به من سان فنسانت مباشرة. واعلمه بالامر.»
فقالت جولي موافقة:

«أجل، سوف يستبد القلق بأبي عندما يعلم نبأ الاعصار، ولـكن لا أريده أن يهرع عائداً وتضيع عليه فرصة المعرض الفني. اذهب أنت إلى سان فنسانت في طريق عودتك إلى بربادوس.»

فقال وقد قطب جبينه:

«ليس بهذه السرعة. فأنت لايمكنك البقاء وسط هذه الفوضى، إن ترميم المنزل يستغرق عدة أيام، فضلا عن أنك بدون القارب ستكونـين معزولة تماماً.»

«وماذا تقترح؟»

فجذبها من ذراعها جانباً وهمس:

«لعلك نسيت أن والدك قد يبيع هذا المكان، فإذا فعل ذلك فسوف أعيد بناء المنزل بالأحجار، ولذلك لا داعي للبدء في الاصلاحات حتى تتم تسوية الأمر. اقترحت على هرقل، ووافق هو، على أن أفضل خطة للعمل، إلى أن يعود والدك. هي أن آخذ أسرته إلى أقاربهـم الـذين يعيشون في بيكويا وتأتين أنت معي إلى بربادوس.»

ومضى يقول:

«سيساور القلق والدك بالتأكيد إذا عرف أنك هنا وحدك وسط هذه الفوضى، ولكنه سيعرف أنك في أمان مع أسرتي في بربادوس.»

«ولكننا لانستطيع ترك الأمور كما هي هنا.»

«نستطيع أن نأخذ معنا الأشياء القيمة.»

وبدأت جولي تقتنع بمنطقه، فقالت بعد لحظة:

«حسناً. سأبدأ في حزم أشياء أبي.»

وفي العاشرة، كان كل ماتريد أخذه قد نقل إلى الزورق. ووقفت جولي على سطح سيفيرار يساورها إحساس مخيف بأنها قد لاترى سوليتير مرة أخرى. وعند الغروب، كان الزورق مازال قابعـاً تجـاه

كنغستون، المدينة الرئيسية لجزيرة سان فنسانت البريطانية التي أفلتت من الاعصار بعد أن انحرف عنها نحو الشمال.

اما سيمون فتوجه إلى الشاطىء وحده لارسال برقية اطمئنان لآل تمبل في نيويورك. ولدى عودته قال في إيجاز أنه سينام بضع ساعات، وأنهم سيصلون إلى بربادوس التي تبعد ٩٥ ميلا نحو الغرب، بعد حلول الظلام.

وقضت جولي فترة العصر جالسة بمفردها على السطح الأمامي، وعندما غربت الشمس سمعت صوت سيمون يأخذ حماماً، فهبطت إلى المطبخ لتعد القهوة.والبطاطا.

وكان الزورق قد تحرك عندما حملت إناء القهوة وصعدت به إلى غرفة القيادة. وسألته:

«متي نصل إلى بربادوس؟»

«مع أضواء النهار الأولى تقريباً، ولو كنت مكانك لأويت إلى فراشي. فأنت تبدين مرهقة.»

كانت لهجته مؤدبة تماماً، ولكنها كانت تعرف ماذا يقصد. لقد ضاق بصحبتها ويريد الانفراد بنفسه. لاشك أنه في أعماقه يلعن اضطراره إلى رعايتها، ولولا الصفقة التي يسعى لعقدها مع أبيها لما اهتم بأمرها، ولكنها لن تفرض نفسها عليه. فقد ترك والدها مبلغاً كبيراً في الخزانة الحديدية الصغيرة، وبمجرد وصولها إلى بربادوس، سوف تنزل في فندق وتنتظر عودة أبيها.

وقالت بلهجة حادة:

«طابت ليلتك.»

فقال بدون أن ينظر إليها:

«طابت ليلتك.»

وفي فراشها الصغير بقمرتها لم تستطع النوم. ظلت تفكر في ليلتها السابقة، وعندما افترشت الأرض الصخرية الصلبة، وكانت هناك ذراع رجل قوي حول خصرها، وأنفاس دافئة تنفث في مؤخرة عنقها.

وعندما استيقظت، عرفت على الفور أنهما بلغا وجهتهما، فقد سكتت المحركات، وسمعت خليطاً من أصوات غير مألوفة على مقربة.

وأزاحت ستائر النافذة جانباً، ثم نظرت إلى ساعتها، لقد جاوزت الساعة التاسعة.

ودفعت جولي أغطية الفراش عن جسمها، ثم زحفت للأمام لتنظر من كوة المقصورة، كان اليخت سيفيرار يقف قريباً من رصيف ميناء، ولم يكن في استطاعتها أن ترى غير مجموعة من السيقان السمراء، وبعض الأقدام الحافية، وبعض النعال التي تعلوها بنطلونات قصيرة، أو قمصان زاهية الألوان، وقالت لنفسها إنها لابد أن تكون هذه بريد غتاون عاصمة بربادوس.

وسمعت طرقاً على الباب، ثم صوتاً يقول:

«طاب صباحك؟ إنني تشارلوت تيرنان.»

دخلت الفتاة المقصورة وهي تبتسم وبدت نحيلة ترتدي ثوباً جميلا، ولها شعر أحمر وعينان عسليتان، وقبل أن ترد تحيتها، لاحظت جولي شينين، وهلة أنها لم تكن تحمل أقل شبه بسيمون، وأنها تضع في إصبعها خاتم خطوبة رائع من الزمرد، وخاتم زواج من البلاتين.

وقالت لنفسها: كيف لم يخطر لي ذلك، إنه متزوج، وهذه هي زوجته!

لماذا جاء إلى هنا ياعزيزتي؟»
«إنه يريد مقابلة أبي.»
والتهم سيمون أربع فطائر بينما أكلت هي ثلاثاً. أما جيزيلا فلم تتناول غير قدحين من القهوة السوداء كالعادة.
وقال سيمون وهو يشعل سيكارة وضعتها جيزيلا بين شفتيها:
«أعتقد أنه لا داعي لأن تتبعي نظاماً لانقاص وزنك.»
فأسندت جيزيلا أصابعها ذات الأنامل الوردية على ساعده برهة، ثم قالت بخفة:
«حتى إذا كان المرء يتمتع بجسم جميل، فإن عليه أن يبقيه رشيقاً.»
ثم رمقته بنظرة مستفزة وأضافت تقول:
«أم أنك من هؤلاء الرجال الذين لايلاحظون مظهر النساء؟»
«لايستطيع الأنسان ألاّ يلاحظ بعض النساء»
ورغم قلة معرفتها بالحياة وراء حدود سوليتير فجولي كانت غير راضية عن أسلوب جيزيلا في اختيار الثياب التي ترتديها، وخاصة القمصان الحريرية الضيقة والبنطلونات التي تبدو ملتصقة بجسمها، وطريقة استخدامها لأدوات التجميل والزينة.
وفي تلك اللحظة قالت زوجة أبيها:
«إنك في حاجة إلى بعض الامتلاء ياعزيزتي، ولا أدري لماذا لاتأكلين جيداً، ربما لأنك مخلوقة عصبية، ولكنك يجب أن تحاولي الاسترخاء وأن يكون جسمك أكثر امتلاء، فالرجال لا يحبون النساء الهزيلات، أليس كذلك يا سيمون؟»
«أعتقد أن أغلب الرجال يفضلون المرأة الممتلئة على النحيلة. ولكن لا أرى أن جولي نحيلة. فأكثر الفتيات في مثل سنها يواجهن مشكلة

سعيدة بعودته.

وبعد أن ارتدت ثيابها الجديدة، توجّهت نحو المطبخ، فأخذت تشارلوت تنظر إليها من أعلى إلى أسفل، ثم قالت:

«لو قطعت رأسينا لوجدت أننا توأمان، إن الفستان يبدو جميلاً عليك.»

فقالت جولي في خجل:

«سأعيد هذه الأشياء بأسرع ما أستطيع، هل اشتريتها خصيصاً أم أنها كانت عندك؟»

قالت تشارلوت بابتسامة:

«كانت عندي، إن الثياب الداخلية هي نقطة ضعفي، كنت أرتدي أي ملابس عتيقة قبل زواجي، أما الآن فإني أنفق كل مامعي على قمصان النوم، ولو تزوجت أحداً في بلادي لكان الأمر مختلفاً، فأغلب غرف النوم الانكليزية باردة جداً كالقطب الشمالي!»

«بلادك؟ ألم تولدي في بربادوس؟»

«كلا إنني انكليزية مثلك، وقد جئت هنا في رحلة مع أبي وأمي.»

«منذ متى تزوجت ياسيدة تيرنان؟»

«منذ عامين، وأرجو أن تناديني تشارلي.»

وعندما جلستا للطعام قالت تشارلوت:

«كنت لاأزال في الفراش عندما اتصل سيمون تليفونياً، ولهذا لم أكن قد تناولت إفطاري بعد، حدثني بكل شيء عنك في الليلة التي أحضر فيها والدك وزوجة أبيك إلى هنا، وذكر لي ماحدث خلال الاعصار، يالها من تجربة مخيفة لك. ومن حسن الحظ أنه قرر العودة إلى سوليتير، لو كنت مكانك لمتّ رعباً.»

«أجل، لم يكن شيئاً مبهجاً.»

وصبت تشارلوت قدحين من القهوة وقالت:

«إنني لم أقابل والدك وزوجته عند وصولها لأنهما جاءا قبل رحلة الطائرة بوقت قصير. فلم يتناولا العشاء معنا. ولكننا نأمل أن يتوقفا ليلة في طريق العودة، لأن حماتي تعرف الكثير في اللوحات وتتلهّف شوقاً لمقابلة أبيك. وبهذه المناسبة لقد قررنا أن تقيمي في الكوخ الموجود بساحة البيت، لأن سيمون يعتقد لأنك جئت من مكان مثل جزيرة سوليتير قد لاتحتملين الاقامة وسط أسرة كبيرة صاخبة. فهناك أحد عشر منّا هنا كما ترين وأخشى أن نكون أشبه بمنزل مجانين!»

«ولكني لن أستطيع الاقامة لديكم، وسأحصل على غرفة بفندق.»

«كلا بحق السماء لن يسمح سيمون بذلك، لقد أعدّ كل شيء، وأعتقد أنك اكتشفت بالفعل أي شخصية مستبدة هو، إنه طاغية رهيب، ولكني أحب الرجل المسيطر ولا أستطيع احتمال الأنواع المائعة.»

وكان واضحاً أن رغبات سيمون هي بمثابة قوانين لزوجته الأنيقة ذات الشعر الأحمر المشوب بسمرة خفيفة.

وبعد انتهاء الافطار قالت تشارلوت:

«لقد رتبت لك موعداً مع رجلي الصغير، ولا داعي للقلق من أن يفعل أي شيء عنيف، فهو مطيع تماماً، ويقص بطريقة رائعة.»

لم يكن لدى جولي أية فكرة عما تتحدثَ عنه، وقبل أن تتمكن من سؤالها، اقتادتها إلى سيارة أجرة، وتبين أن رجل تشارلوت الصغير هو حلاق فرنسي قصير القامة، وقد عهدت بجولي إليه وقالت إنها ستشتري بعض الأشياء وتعود إليها بعد تسعين دقيقة.

وهكذا بدأت جولي تمر بالطقوس التي تحدث في صالون حلاق راق.

ولكنها كانت خلال ذلك لاتزال تحت تأثير الصدمة التي واجهتها.

عندما اكتشفت أن سيمون متزوج، وكانت الصدمة الأكثر عمقاً، هي مواجهة مشاعرها الحقيقية حياله!

عندما عادت تشارلوت، كانت جولي تنتظرها في قاعة الاستقبال وقد تغيّر مظهرها، وطلت أظافرها بلون رمادي فاتح كما وضعت بعض الطلاء الأحمر على شفتيها بعناية.

وهتفت تشارلوت:

«ياإلهي إنك تبدين جميلة حقاً، وسوف يتهافت الشبان عليك.»

«الشبان؟»

«شباب آل تيرنان، وستقابلينهم على مائدة الغداء، والآن سنذهب إلى القاعة المرجانية لانتظار سيمون.»

وجاء سيمون بعد عشر دقائق، وكان رائعاً، وليست هناك كلمة أخرى يوصف بها.

وعندما تذكرت أنه زوج تشارلوت احمرّ وجهها، وقال هو:

«آسف إذا كنت قد جعلتكما تنتظران، شكراً لقدومك يا تشارلي ورعايتك جولي.»

وجلس على الأريكة بجوار تشارلوت التي قدمت له خدها ليطبع قبلة عليه، ثم نظر إلى جولي، ومع أنه لايمكن أن يكون قد فاته ماحدث في مظهرها من تغيير، فإنه لم يدل بأي تعليق مباشر، ولكنه قال:

«كنت أتحدث مع أبيك تليفونياً، وقد حجز مكالمة في الساعة الثالثة، وهكذا يمكنك التحدث معه بنفسك، كان يريد أن يطير عائداً على الفور، ولكني قلت له إنه لاضرورة لذلك.»

واستأذنت تشارلوت لاصلاح زينتها، وبعد خروجها، قال سيمون:

«إن ثوب تشارلوت هذا يناسبك.»

«كان كرماً من زوجتك أن تعيرني ثيابها، ولكن أود أن تسمح لي بالنزول في فندق فقد سببت لكم مايكفي من المتاعب.»

ولم يجب على الفور، ثم قال:

«على العكس، إن تشارلوت سوف تتمتع بصحبتك. وأعتقد أنكما سوف تتفاهمان جيداً.»

وبدا كأن دهرا قد مضى قبل أن تعود تشارلوت من غرفة الزينة، وكان المكان قد امتلأ بالناس، وأغلبهم يلوحون لسيمون أو يحيونه ورغم أنهم كانوا ينظرون إلى جولي بفضول غير خفي، فإن أحداً لم يقترب من مائدتهم.

وقال سيمون:

«إن بربادوس مكان صغير، الجميع يعرف بعضهم بعضاً، والوجوه الجديدة تثير الاهتمام دائماً فلا داعي للشعور بالخجل.»

فقاطعته تشارلوت:

«قابلت ماغي برنت في غرفة اللعب، وقد أكدّ لها الطبيب أنها حامل هي أيضاً. وهكذا يمكننا أن نحيك معاً الثياب الصغيرة.»

والتفتت لجولي قائلة:

«إنني أنتظر طفلاً.»

فقالت وقد تجمدّت شفتاها:

«حقاً؟...ت... تهنئتي!»

وقالت لنفسها: وكان هذا إذن هو سبب ترك سيمون لزوجته عندما قام برحلته بالزورق، فربما أمرها الطبيب بالتزام الهدوء.

وقال سيمون بلهجة عابرة:

«ولكنني لست أب الطفل!»

وحدّقت كل من جولي وتشارلوت نحـوه، بينما مضى يقـول في سخرية:

«لابد أنك كنت تتحدثين عني بأسلوب عاطفي جداً يا تشارلي، حتى أن جولي اعتقدت أننا متزوجان.»

فهتفت تشارلوت في دهشة:

«ماذا؟»

ثم انفجرت ضاحكة وقالت لجولي:

«ما الذي أوحى إليك بهذه الفكرة؟»

وقبل أن تتمكّن من الرد عليها قالت وهي تنظـر إلى سيمـون بخبث:

«ألم يذكر لك سيمون أنه أعزب؟ حسناً إن سيمون بطبيعة الحال أشبه بالحمل، ولكنه لايقارن بزوجي روب وهو شقيقه وستقابلينه على الغداء.»

وأحست جولي بموجة عاتية من الفرح والأمل والارتياح تملأ قلبها

وقال سيمون بعد قليل:

«لقد حان وقت مغادرتنا.»

كانت سيارته التي تقف على مقربة من المكان، فضية اللون وقد أجلس جولي في المقعد الأمامي المجاور له بينما جلست تشارلوت في المقعد الخلفي. وكان سيمون قد ترك الحديث لتشارلوت، موجهاً كل اهتمامه للمنعطفات والمنحنيات الكثيرة في الطرق الريفية الملتـوية، وأخيراً قال:

«لابد أننا الآن في وقت الغداء، سوف ترين مكانك بعد ذلك ياجولي إذ ستنزلـين في كوخ وسـط الحديقـة، حيث لايزعجـك الصخـب والضجيج الذي هو طابع مميز لأسرتنا.»

ولاح منزل الأسرة للانظار، فتمتمت جولي في سرور، وسألتها تشارلوت:
«أليس جميلاً؟»
فقالت جولي لنفسها،، إنّ كلمة جميل لاتكفي لوصفه، فهو أجمل منزل شاهدته.
كان قصراً ريفياً فاخراً على الطراز السائد في جورجيا، تحيط به حديقة جميلة تنتشر فيها الزهور الانكليزية.
وبينما كانت السيارة تتوقف أمام المدخل، أقبل الأطفال والكلاب مسرعين لتحيتهم.
وانكمشت جولي في مقعدها في خجل،.بينما كان الأطفال يسألون عن الأشياء التي طلبوها والكلاب تنبح وتهز أذيالها من حولهم، وبعد أن نجح سيمون في إسكاتهم، وثب من سيارته واستدار حولها ليفتح الباب لجولي.
وقال وهو يمسك ذراعها ويسير بها نحو المنزل:
«هيا لتقابلي أمي.»
كانت أمه امرأة نحيلة ذات شعر أبيض ترتدي ثوباً من القطن، في حوال الخمسين من عمرها، ذات عينين زرقاوين، وعلى شفتيها ابتسامة ودية دافئة، وهي تهبط الدرجات المقوسة.
وبدون أن تنتظر حتى يقدمها ابنها، قالت:
«أنا آن تيرنان، مرحباً بك في روزهول ياجولي. نحن سعداء جداً بوجودك هنا.»
ووضعت يديها على كتفي جولي وانحنت للأمام لتقبلها في وجنتها وقالت:

«الطعام جاهز، لابد أنك تشعرين بجوع شديد بعد كل ما مررت به.»

وفي غرفة طعام تطل على المروج الخضراء المخملية، قام ساق من أبناء بربادوس بتقديم الطعام. وكانت السيدة تيرنان تتحدّث برقة طوال تناول الطعام، وبمجرد الانتهاء منه، صحب سيمون جولي إلى الخارج لمشاهدة كوخها، وسألها وهما يسيران في طريق تكسوه الحشائش:

«ما رأيك في مجموعة وحوش آل تيرنان؟»

«أعتقد أنه من الأشياء الممتعة أن يكون الانسان جزءاً من أسرة كبيرة، وإن كنت لم أتخيل أن لك كل هؤلاء الاخوة والأخوات.»

فقال في سخرية:

«خيل لي أنك أحسست بهزة في مشاعرك عندما ظننت خطأ أن تشاركي زوجتي؟»

فردت في حذر:

«اهتزت مشاعري؟»

«هل كنت مضطربة؟»

«ولماذا اضطرب؟ لقد دهشت، إذ كنت أعتقد أنك أعزب، ولكني لم أشعر بأي انزعاج، يالها من فكرة غريبة!»

«لا أراها كذلك، لأنني أعرفك.»

كانا قد بلغا مكاناً يتشعب فيه الطريق، وتوقف سيمون، وتوقفت معه جولي لأنها لا تعرف أين الطريق الذي يؤدي إلى الكوخ، وسألته وهي تتظاهر بتفحص بعض الزهور:

«ماذا تعني بقولك أنك تعرفني؟»

فقال ببطء:

«أنت مثالية، ففي الليلة الماضية قلت إنك تخاطرين بالعالم كله من أجل الحب، ومع مثل هذه الآراء، يخيل لي أنك سوف تشعرين أنه ليس

من حق رجل متزوج ان يضع ذراعين حول اي شخص غير زوجته مهما كانت الظروف، كما أن اشتراكنا في النوم فوق المشمع في أوراغان يثير وخزاً لضميرك الرقيق أليس كذلك؟»

وأحست بوجهها يزداد احمراراً، وظلت تشيح ببصرها بعيداً وهي تقول:

«لم أشعر بارتياح كثير بالطبع. لعلك تعتقد أن هذا أسلوب تفكير عتيق أحمق.»

«كلا. الواقع أنني أجد مثل هذا الاحساس القوي بالامتلاك منعشاً.»

«أهذا هو الطريق؟»

فلمس ذراعها، وأشار إلى الطريق الأيسر.

وبعد أن سارا بضع ياردات عاد يقول:

«كان واضحاً أن شيئاً ثقيلاً قد انزاح عن ذهنك عندما عرفت أن تشارلي ليس زوجتي.»

ونظرت إليه مذعورة، وقالت لنفسها هل كانت شفافة إلى حد أنه خمّن السبب الآخر لارتياحها؟

وقال:

«ها هو الكوخ أمامك مباشرة. أما إذا أردت أن تأخذي حماماً، فعليك أن تأتي إلى المنزل.»

كان الكوخ مقاماً بأحجار مطلية بالألوان، وله سقف أنيق من سعف النخيل، وبه نوافذ زرقاء، وبالداخل وجدت غرفة للنوم وأخرى للجلوس وقد أثثت بسجاد زاهي اللون وستائر مزخرفة ، وأضواء كهربائية، مع كثير من الكتب والمجلات.

وقال سيمون:

«أعتقد أن أمي أعدت كل شيء. ولكن إذا أردت شيئاً آخر فأرجو أن

تطلبيه.»

كانت تتوقَع أن يتركها عندئذ. ولكنه جلس على أحد المقعدين الكبيرين، وقال:

«كل ما أحضرناه من سوليتير سيأتي فيما بعد. وسوف تعنى الخادمات بثياب زوجة أبيك. وقد اقترحت على تشارلي أن تعيرك بعض ملابسها لأنني لا أعتقد أن ثياب جيزيلا تناسبك. هل معك نقود؟ إذا لم يكن معك فسوف أقرضك بعضها حتى يعود أبوك.»

«شكراً معي نقود كثيرة.»

ثم سألها:

«كم الساعة الآن؟»

«الثالثة إلاّ خمس دقائق.»

«هناك وصلة تليفونية في غرفة نومك يمكنك أن تتلقي بها مكالمة أبيك. ويستحسن الآن أن تستريحي ساعتين، فإنني لا أريد أن ترهقي نفسك. إن هذه الثياب وتصفيف شعرك هذا جعلك تبدين مثل بقية الفتيات في بربادوس، ولكنه مجرد مظهر خادع.»

فقالت في استنكار:

«تجعلني أبدو وكأنني نوع غريب، إنني لم أولد في سوليتير، وقد قضيت أكثر من نصف حياتي في انكلترا، ولا أختلف كثيراً عن الفتيات الأخريات.»

«إنك لم تذهبي ابداً إلى أي حفل راقص، ولم تخرجي ابداً مع أي فتى، ولم يقبلك أي رجل عدا والدك. فهل تظنين أن ذلك ينطبق على أغلب الفتيات اللواتي في سن التاسعة عشرة؟ إنك بالتأكيد شيء نادر ياجولي.»

واحمرّ وجهها، وأحست أنها عاجزة عن مواجهة كلماته التي تشير

غيظها.

وسمعت جرس التليفون يرن في غرفة النوم، فقفزت للرد عليه وهي تحس بارتياح.

وفي الساعة الرابعة بعد الظهر أقبل دومينيك ذو الاثني عشر ربيعاً إلى الكوخ لابلاغها أن وقت تقديم الشاي قد حان.

وبينما كانا يسيران معاً نحو المنزل سألها في رهبة:

«من الغريب أنك تعيشين على جزيرة صحراوية، ولكنك لاتبدين مثل جين ، بل تبدين مثل إيما تشارلي.»

«ومن هي جين هذه؟»

«ألا تعرفين؟ إنها رفيقة طرزان»

وانطلق يحدثها بحماسة عن حكايات رجل الغابة الشهير. فقالت:

«فهمت. أخشى أنني أنا وأبي لانشبه طرزان وجين على الاطلاق، فنحن نعيش في منزل، ونتناول الطعام نفسه الذي تأكله أنت، ولدينا أسرة من جزر الهند الغربية.»

وبدت خيبة الأمل على وجه دومينيك، وقال:

«ظننتك تعرفين كيف تروّضين أسماك القرش وغيرها. قال سيمون عندما عاد في المرة السابقة أنك فتاة برية مثل الأراواك.»

فقالت وهي تضغط على شفتيها:

«هل قال ذلك حقاً؟»

كان الأراواك السكان الأصليين لجزر الهند الغربية، وقد هلك أغلبهم. على يد قبائل الكاريبي أولاً، وهم من أكلة لحوم البشر، ثم بواسطة الغزاة الاسبان الذين قضوا على مليونين من الأراواك في أقل من قرن.

وحول مائدة الشاي قال دومينيك الصغير لجولي:

«كنت أعتقد أن لك ضفائر طويلة من الشعر، ولا تعرفين كيف تستخدمين الشوكة والسكين وتتحدثين بصوت يشبه الخوار.»

ونهره شقيقه نينيان قائلاً:

«كفى هراء، واذهب لتغسل مخالبك القذرة يادوم.»

كانت جولي تغلي في أعماقها، ولكنها تظاهرت بالمرح وهي تقول: «حسناً، إذا كان سيمون قد وصفني كذلك، فقد كان شيئاً نبيلاً جداً منكم أن تسمحوا لي بالحضور.»

فقالت السيدة تيرنان:

«إنه لم يفعل ذلك ياعزيزتي، وأنت تعرفين كيف يبالغ الأطفال. إن كل ما قاله سيمون هو أنك ووالدك تعيشان في سوليتير منذ ثماني سنوات، وأنك تسبحين في الماء كالسمكة. وبهذه المناسبة، هل يمكنك إقناع أبيك بقضاء ليلة معنا في طريق عودته؟ إنني أتوق جداً إلى مقابلته.»

فردّت جولي بابتسامة:

«إنني واثقة أن ذلك سيسعده.»

وعقب تناول الشاي، صحبت تشارلي جولي لكي تُريها الجناح الجنوبي من المنزل حيث يوجد مسكنها هي وزوجها.

وحدثتها تشارلي عن أفراد أسرة تيرنان بإيجاز، فقالت إن حماتها سيدة رائعة، وإن زوجها روب يساعد سيمون في إدارة المزرعة ومصنع السكر، وهناك توأمان في السادسة والعشرين من عمرهما، أحدهما جيمس ويعمل مصمماً لليخوت، والثاني جو وهو شريك في مؤسسة للمهندسين المعماريين، وليا في الرابعة والعشرين وتعمل سكرتيرة في نيويورك، وهي في اجازة الآن.

واقترحت عليها تشارلي أن تذهب لاستكشاف الحديقة، ريثما تأخذ

هي حماما، وقالت:
«سوف نجتمع معاً لتناول المشروبات في الشرفة في السابعة.»
وفعلت جولي كما اقترحت تشارلي، وأخذت تتجول في الحديقة بعض الوقت حتى وصلت إلى طاحونة هواء محطمة، وكانت تشارلوت قد أخبرتها من قبل أنها كانت تستخدم لعصر القصب في الأيام الخوالي.
وبينا كانت تختلس النظر من خلال الباب، سمعت صوت خطوات، فاستدارت لتجد أحد التوأمين قادماً نحوها، وقال لها وهو يبتسم:
«أهلاً بك، هل قمت بجولة في المكان، مارأيك في مباراة في الكروكيه قبل العشاء؟»
فقالت في خجل:
«لا أعرف هذه اللعبة.»
«ليس فيها أية صعوبة، هيا، سوف أريك.»
ووضع يده تحت مرفقها، وقادها في ممر طويل بين أشجار التمر الهندي، حتى وصلا إلى قطعة ممتدة من المروج وضعت بها أطواق الكروكيه. وسألته عن اسمه فقال:
«جيمس، ويمكنك معرفتي بهذه.»
وأشار إلى ندبة شاحبة على خده الأيسر لاتكاد ترى، وقال إنها أثر لحادث تحطم دراجة عندما كان غلاماً صغيراً، ثم قال:
«إن جو شاب لطيف، ولكنه يفتقر إلى سحري!»
وضحكت جولي، ونظرت إليه وهو يهرع نحو البيت لاحضار مضارب الكروكيه وكانت قد أحست فعلا بالاطمئنان إليه.
وهاه جيمس قائلا:
«هذه اللعبة إذا لعبت بطريقة صحيحة، تشغل الانسان كثيراً، ولكننا

لانهتم كثيراً بالقواعد.»

ومدت جولي يدها لتأخذ أحد المضارب التي أحضرها، ولكنه بدلا من أن يعطيها إياه، أمسك يدها في يده وهو يقول:

«جيمس وجولي... يتفقان جيداً... ألا تظنين ذلك؟»

فقالت وعيناها تتألقان مرحاً:

«ألم يحذرك أخوك من أنني عشت حياة متزمتة جداً؟»

وسحبت يدها من يده وقالت:

«هيا أرني كيف ألعب الكروكيه ياجيمس.»

وبينا كان يدربها على ضرب الكرة، وقف خلفها وطوقها بذراعيه، وقال هامساً في أذنها:

«ما أجمل رائحة شعرك.»

وتحولت ضحكة جولي المرحة إلى شهقة هلع عندما سمعت من خلفها صوتاً يقول:

«إنها حيلة مبتذلة ياجيمس، ألا ترى ذلك؟»

فاستدارا ليجدا سيمون يرقبهما، وقال جيمس بدون ارتياك.

«أهلا ياسيمون، كنت أعلم ضيفتنا مبادىء الكروكيه فقط.»

«هذا ما أراه...»

ولكن التعبير الذي بدا على وجه سيمون جعل جولي تحس وكأن قامتها قد طالت ثلاثة أقدام، واستطرد هو يقول:

«أرسلتني أمي لكي أحضرك ياجولي، فقد ظننت أنك ربما ضللت الطريق، وسنتناول العشاء بعد قليل.»

وأعاد جيمس أدوات الكروكية إلى مكانها، ثم عاد وأمسك يدها قائلا:

«غداً أعطيك درساً آخر.»

وسارا في طريق العودة الذي كان لايتسع لثلاثة يمشون جنباً إلى جنب، فتقهقر سيمون خلفهما، وكان في استطاعة جولي أن تحس بعينيه تخترقان ظهرها، وكان في إمكانها أن تسحب يدها من بين أصابع جيمس، ولكنها اختارت ألا تفعل ذلك تحدياً لسيمون.

كانت بقية الأسرة قد تجمعت على الشرفة.

وجلس سيمون إلى جوار أمه، بينما دفع جيمس عربة صغيرة محملة بالزجاجات والكؤوس، حيث مزج لها خليطاً من المشروبات وصبه في كأس طويلة وضع بها قطعاً من الثلج المجروش، ثم قدمه لها وهو ينحني أمامها قائلا:

«ان مشروبي الخاص هو روم تيرنان المتقن، أو أشعة الشمس السائلة كما نطلق عليه.»

فقالت جولي وهي تتذوقه:

«حقاً، إنه لذيذ، حدثني عن شراب الروم وكيف يصنع.»

فقال:

«إن سيمون خبير في هذا الموضوع، وأظن أنه سوف يصحبك في جولة بالمزرعة ويشرح لك التركيبة بأسرها، لنتحدث عنك أنت، فهو حديث أكثر طرافة...»

وجلست جولي خلال العشاء بين جيمس وتوأمه جو الذي قال لها:

«ليس عندي مايشغلني غداً، ما رأيك في القيام بجولة بحرية ياجولي؟»

«كنت أود ذلك لولا أني مضطرة للذهاب إلى بريد غتاون لشراء بعض الحاجيات.»

«يمكنك أن تفعلي ذلك في الصباح، وتأتي معي بعد الظهر.»

واقترب منها قليلا وقال:

«أعتقد أنك كما قال سيمون بارعة جداً في قيادة الزوارق، أم يجب أن أقول إنك جميلة وبارعة؟»

«ماذا قال سيمون بالضبط؟»

«قال إنك أشبه بعروس بحر بلا ذيل، وأنك أكثر مهارة في الماء مما أنت على الأرض اليابسة، إنك حورية بحر سوليتير.»

فردت بجفاف:

«إنني واثقة أنه لم يقل ذلك عني.»

«كلا، ولكن سيمون شخص عملي جداً، ليس من النوع الخيالي مثلي، وهو يعادي المرأة قليلا كما تعرفين، لا أقول إنه يكره النساء حقاً، ولكنه حريص على عدم التورط معهن جدياً، لقد بلغ الثلاثين في الربيع الماضي، ولا بد أنه يبدو كهلا إلى حد ما لأي فتاة في عمرك، أما الذين في حوال السادسة والعشرين من عمرهم فهم يناسبونك أكثر كما أعتقد!»

فضحكت قائلة:

«وبمصادفة عجيبة، أنت في السادسة والعشرين؟»

وعقب العشاء تفرقت الأسرة، حيث قاد جيمس وتوأمه جولي إلى الأريكة المتأرجحة الأخرى في الحديقة، واستقر كل منهما على أحد جانبيها.

لو أنها وجدت نفسها فجأة بالأمس محصورة بين هذين الشابين الجذابين لملأت السعادة قلبها. أما اليوم فإنه من الممكن أن يحيط بها عشرون شاباً ساحراً بدون أن تشعر حتى بدوار قليل.

هناك فجوة بين أمس واليوم، هوة واسعة عبرتها ولا يمكن أن تعود لعبورها. كانت أمس فتاة خرقاء، أما اليوم فهي امرأة... امرأة تحب.

وهناك الآن رجل واحد فقط يستطيع أن يجهل خفقات قلبها تسرع.
وبعد أن مضت نصف ساعة على جلوسهم في ضوء القمر بالحديقة، جاء سيمون عبر الحشائش وقال لها وكأنها طفلة صغيرة:
«حان وقت نومك ياجولي.»
وعندما احتج التوأمان بأن الليل مازال في أوله قال:
«قضت جولي يوماً مرهقاً، وسوف أصحبها إلى الكوخ، فإنني أريد أن أتحدث معها.»
وبعد أن حيت التوأمين، ناداها جو وهي تبتعد وقال:
«لاتنسي موعدنا بعد ظهر غد.»
«لن أنسى... طابت ليلتك.»
وبعد أن أصبحا بعيداً عن مرمى سمع التوأمين، سألها سيمون ببرود:
«أي موعد؟»
«سيأخذني جو في نزهة بحرية في قاربه، إذا لم يكن لديك اعتراض.»
فأمسك بذراعها وهي تصعد درجات حجرية في بداية تعريشة طويلة، وسارا معاً في سكون، وفي أعقابهما كلب الأسرة الضخم، سير أرشيبالد وأخيراً قال:
«لا اعتراض طالما كنت تدركين أن جيمس وجو سوف يظهران نفس اللطف والمجاملة لأية فتاة ذات مظهر مقبول تدخل فلكهما.»
«إنه أمر يبعث السرور أن أعرف أنني فتاة مقبولة المظهر، فقد كان دومينيك يتوقع أن لي ضفائر طويلة وأظافر كالمخالب القذرة، وإنني أتساءل من الذي أوحى له بهذه الفكرة؟»
فقال برصانة:

«لاأدري ولكني لم أقل هذا بالتأكيد.»
«ولكنك وصفتني لهم بأنني فتاة برية كالأراواك.»
«ربما فعلت ذلك، لا أذكر، وحتى إذا كنت قد فعلت، لا أرى لماذا يجب أن تأخذي الأمور بسخط واستياء ياحبيبتي. فقد كان شعب الأراواك وفقاً لكل الروايات، جنساً لطيفاً جداً.»

كان استخدامه للاصطلاح الذي يستخدمه أبناء جزر الهند الغربية لاظهار اعتزازهم بشخص ما قد جعل قلبها يترنح بين ضلوعها، فقالت برقة:

«ولكنني لم آخذ الأمور بسخط واستياء.»
«هل أمكنك إقناع أبيك بأنه لاداعي للعودة بسرعة من نيويورك؟»
«أجل، وهو لم يبت بعد في مسألة البيع، ولكنني كنت أتوقع أنك ستسأله في ذلك بنفسك.»
«قد يدهشك ذلك بلا شك، ولكني نسيت أن أذكر الموضوع.»

وعندما بلغا الكوخ قال لها:

«إذا كنت تشعرين بعصبية لنومك بمفردك، فسوف أترك سيرأرشيبالد لمصاحبتك. وقال للكلب الضخم:
«امكث لحراستها ياآرشي»

وقبع الكلب عند عتبة الكوخ.

وقال سيمون:

«طابت ليلتك، وعلى فكرة، أعرف أنك تواقة لتعويض الوقت الضائع، ولكنك ستكونين أكثر حكمة إذا لم تسمحي لجو أن يقبلك بعد ظهر غد، فلا شك أنه سيحاول إذا منحته أدنى قدر من التشجيع.»

وقبل أن تتمكن من الرد، انطلق نحو بستان أشجار الماهوغني الظليلة.

وخطت من فوق الكلب الضخم إلى غرفة الجلوس. ثم اتجهت إلى فراشها وجلست تتصفح إحدى المجلات، عندما رأت سيرأرشيبالد يسير في تثاقل إلى غرفة نومها ويقبع بجوار الفراش.

وأطفأت النور ورقدت في الفراش، ولكن كان من العسير عليها أن تنام في تلك الليلة.

وخيل لها أن صوتاً متعقلا في داخلها يقول لها: لاتكوني حمقاء هذا ليس حباً.إنه افتتان مجنون، فلا أحد يقع في الحب في سبعة أيام.إنك حتى هذا الصباح عندما ظننت أن تشارلوت زوجته لم تكوني تشعرين حتى بالميل إلى هذا الرجل، وخلال الأيام الأربعة الأولى كنت تكرهينه بشدة، ألا تذكرين؟

وبدا كأن صوتاً حالماً يرد عليه قائلا: كلا، إنني لم أكرهه حقيقة، لقد أدركت بمجرد رؤيته أنني يمكن أن أحبه، ولكني كنت أخشى ألا يكون رائعاً كما يبدو، ولكنه كذلك، لم يعد يهمني ألا أعود أبداً إلى سوليتير، هنا المكان الذي أريد أن أكون فيه، هنا أستطيع أن أكون سعيدة طوال حياتي!

واستيقظت في الصباح التالي على لسان سيرأرشيبالد وهو يلعق ساعدها العاري، وعندما فتحت عينيها، حاول أن يقبع بجوارها حتى كاد الفراش يقع.

وبينا كانت ترتدي ثيابها، أخذت تتحدث إليه، ولكنها عندما حاولت مغادرة الكوخ، أطلق الكلب زمجرة عميقة، ثم كشف عن أسنانه!

وظلت أسيرة الغرفة حتى منتصف الثامنة عندما جاء دومينيك وأنقذها، فسألته:

«هل كان من الممكن أن يعضني لو حاولت الخروج؟»

فقال بلهجة جادة:

«لاأظن أنه كان سيجعلك تنزفين دماً، ولكنك كنت ستحملين آثار أسنانه. فهو ممتاز جداً في تنفيذ الأوامر، وإذا طلب منه سيمون البقاء في مكان ما فإنه لايتحرك ولو مات جوعاً.»

ومرت الأيام القليلة التالية بسرعة بالغة. منذ أسبوع واحد لم يكن من الممكن أن تصدق أنها سوف تخشى عودة أبيها وتبتهل إلى الله أن تقنعه جيزيلا بإطالة فترة غيابهما، ولكن ها هي تفعل ذلك الآن!

إن أملها الوحيد للمستقبل يكمن في إقناع زوجة أبيها بمدى ماستجده من حياة مرحة إذا عاشوا في بريد غتاون. ومع ذلك فقد كانت جولي تدرك في أعماقها أن خلاصها إنما يكمن في الابتعاد عن بربادوس قدر استطاعتها، فهي ستحب سيمون طوال حياتها، أما هو فلن يحبها ابداً، ولو بعد مليون عام، والأمل في حدوث معجزة لن يؤدي إلا الى إطالة الألم.

واكتشفت جولي أن الوقوع في الحب حالة إثارة مستمرة. كانت تستيقظ حوال السابعة صباحاً، وتسأل نفسها عما إذا كانت ستراه على مائدة الافطار، أو أنه انصرف إلى المصنع، وحتى فترات الصباح التي كانت تحفل بأشياء لطيفة يمكن أن تشغلها، كانت تبدو لها طويلة مملة، بينما تتساءل عندما تزحف عقارب الساعة نحو الواحدة: ترى هل يأتي للغداء أم يتناوله في بريدغتاون؟

وكانت تعرف أنها ستراه عند العشاء. ولكن هل سيتحدث إليها؟ وإذا فعل فهل يكون شحيحاً في كلماته، ساخراً! شائك الملاحظات التي تعذبها في منتصف الليل لأنها لا تعرف كيف تفسرها بالضبط

كانت تشكو لنفسها عشرات المرات كل يوم من عذاب الحب، ولكنها لاتكاد تسمع صوته أو تلمحه في الحديقة حتى يدق قلبها بشدة

وترى في روزهول مكاناً أشبه بالفردوس. فردوس الحمقى!

وبعث جوناثان تمبل برقية في اليوم السابق لعودته يقول إنه طار مع جيزيلا عن طريق بورتوريكو وسيصلان إلى مطار سيوول بعد ظهر اليوم التالي، وصحبها سيمون في سيارته لمقابلتهما وكان الطريق إلى المطار البعيد طويلا، وكانت تجربة حلوة مريرة أن يكون كله لها، ولكنها كانت تدرك أن إقامتها في روزهول أوشكت على الانتهاء.

ووصلا قبل موعد وصول الطائرة بعشرين دقيقة، فجلسا في مطعم المطار الذي تطل شرفته على الممرات الأرضية للمطار لتناول الشاي.

وفجأة نودى على اسم سيمون في مكبر الصوت بالمطار للذهاب إلى مكتب المراقب فقال وهو ينهض:

«أعتقد أن شيئاً مزعجاً حدث في المصنع، لن أغيب طويلا.»

وغاب خمس أو ست دقائق، وعندما عاد طلب إليها أن تذهب معه، فتبعته في حيرة وهو يتجه إلى غرفة يبدو أنها استراحة خاصة لكبار الركاب، رأت التعبيرات التي تكسو وجهه، فسألته بحدة:

«ماذا حدث؟»

فجلس إلى جانبها، وأمسك يديها في يديه الكبيرتين وقال:

«أخشى أنها أخبار سيئة!»

٥ ـ فردوس الحمقى!

قالت في هدوء تام:

«هل تعني أن الطائرة سقطت، أين؟»

فهز رأسه وقال:

«كلا، الطائرة على مايرام. وستصل هنا خلال دقائق قليلة، غير أن الطيار بعث برسالة لاسلكية، لقد نزل، والدك في بورتوريكو، إنه مريض، نوبة قلبية مفاجئة.»

قالت وهي مازالت تحتفظ برصانتها تماماً.

«متى تقوم الطائرة التالية إلى بورتو ريكو؟ لابد أن أذهب إليه.»

وحاولت النهوض من على الأريكة، ولكن سيمون أمسك يديها وأبقاها في مكانها، وقال:

«فات الوقت. لقد مات ياجولي. مات قبل أن يصلوا إلى سان خوان. نقلوه بسرعة إلى مستشفى، ولكن لم يكن هناك مايستطيع الأطباء أن يفعلوه.»

وقالت بعصبية وخوف:

«لابد لي من الذهاب... ستكون هناك أمور يجب عملها... لابد أن أراه.»

«أخشى ألا يكون هذا ممكناً، فالرحلة التالية من هنا إلى سان خوان لن

تقوم قبل ظهر الغد. وعندما تصلين إلى هناك سيكون كل شيء قد انتهى ياعزيزتي. ففي المناطق الحارة...»

ولم يستطرد.

منذ نصف ساعة، كانت الرقة في صوته، والحنان في عينيه كفيلين برفعها إلى السماء، أما الآن فلم يكن لهما أي تأثير على الاطلاق.

وقالت وهي تومىء برأسها:

«أجل. سوف يدفنونه في الصباح الباكر كما أعتقد، ولكن جيزيلا يجب أن أذهب إليها، إنها لن تعرف ماذا تفعل من هول الصدمة.»

«إن لي بعض الاتصالات هناك، وسأعهد لهم بمساعدتها ثم وضعها في الطائرة إلى بربادوس بمجرد انتهاء الجنازة. وسأقوم بذلك على الفور، هناك شخص في الخارج سيبقى معك.»

كانت هناك فتاة حسناء ترتدي زي المطار تحوم حول الغرفة.

وقالت برقة وهي تتخذ مكان سيمون:

«اشربي هذا الكأس يا آنسة تمبل، إنه سوف يهدىء أعصابك.»

فقالت لها جولي:

«إنني لا أشعر باضطراب.»

وارتشفت المشروب ببطء، وهي تتمنى لو انصرفت الفتاة وتركتها بمفردها.

وأخيراً عاد سيمون وشكر الفتاة. وقال لجولي:

«تم ترتيب كل شيء، وسنعود الآن للمنزل.»

«لم أكن أعرف أنه يعاني من أي مرض في قلبه. كان يبدو في لياقة تامة...»

ولم يجب سيمون، وأدخلها السيارة. وبعد بضع ثوان، كانا على الطريق الرئيسي مرة أخرى.

وعندما عادا إلى روزهول لم يقد السيارة حتى المنزل، بل توقف على مسافة في الطريق لاتبعد كثيراً عن الكوخ، وسألها:

«هل أرسل لك أمي، أم أنك تفضلين البقاء وحدك بعض الوقت؟»

«أود أن أبقى بمفردي إذا لم تمانع، شكراً لك ياسيمون، إنني آسفة على كل ذلك.»

فقال وهو مشدوه:

«آسفة؟»

«إن الأمر متعب جداً لك ولبقية العائلة.»

«ياطفلتي العزيزة...»

ثم توقف فجأة وقد توتر فمه، وأردف يقول:

«سأعود فيما بعد.»

وراقبته وهو يخطو مبتعداً، ثم سارت ببطء إلى الكوخ، وألقت بنفسها على الأريكة، وتعجبت، لماذا لاتشعر بشيء غير إحساس غريب من الوهم، وكأن كل هذا يحدث في حلم سوف تستيقظ منه الآن!

وكانت لاتزال تجلس على الأريكة عندما عاد سيمون بعد ساعة.

وقال وهو يعطيها زجاجة صغيرة بها ثلاث حبات بيضاء.

«هذه أقراص مهدئة، خذيها واخلدي إلى الفراش ياجولي.»

«أجل. حسناً، في بعض الأحيان كان أبي عندما يذهب بعيداً تساورني هواجس بأن الطائرة سوف تسقط ولكن ذلك لم يخطر على بالي هذه المرة.»

ووضع الزجاجة في يدها وأغلق أصابعها حولها ثم قال:

«ستجعلك تنامين على الفور تقريباً.»

وعندما استيقظت، كان سيمون يجلس بجوار الفراش.

وغمغمت تقول:

«ظننت أنك رحلت.»

«كان هذا امس ياجولي. لقد نمت يوماً كاملا، وقد أحضرت لك بعض الطعام، إنه على صينية في الغرفة الأخرى، هل أحضره لك؟»

وفركت عينيها ثم قالت:

«كلا... سأرتدي ثيابي وأحضر فوراً.»

وكان سيمون يصب القهوة عندما انضمت إليه في الغرفة الأخرى فقال:

«تلقيت برقية من بورتو ريكو عن زوجة أبيك، سوف تستقل الطائرة إلى هنا مساء الغد، وقد حجزت لها غرفة في فندق كاليسوريف. ولو كنت أنت وهي على وفاق لأحضرناها هنا، ولكن في هذه الظروف أعتقد أنه سيكون من الأيسر لكليكما أن تبقى في مكان آخر.»

وبعد أن انصرف سيمون، جاءت السيدة تيرنان إلى الكوخ.

كانت قد أحضرت بعض الزهور اليانعة لوضعها في أواني الزهور، وبينما كانت تقوم بترتيبها قالت:

«إن عبارات العطف لاتجلب الراحة في أوقات كهذه ياعزيزتي، بيد أني أود أن أذكر لك شيئاً تعلمته بعد وفاة زوجي، فقد يساعدك قليلا. إن الذين يؤمنون بالله لايمكنهم الحزن على الميت. إننا نحزن على أنفسنا. لقد أدركت بعد أن تخلصت من الصدمة الأولى لوفاة أندرو، أنني قضيت واحداً وثلاثين عاماً من السعادة معه. هناك أشخاص كثيرون جداً يمكنهم أن يحسبوا السعادة بالشهور أو حتى بالأسابيع فقط. ولعلك إذا فكرت في سنواتك السعيدة مع أبيك في سوليتير فقد يساعدك ذلك على تحمل هذا الوقت.»

وفي الليل استيقظت جولي، كانوا قد أعطوها بعض أقراص أخرى، ولكنها لم تكن قد تناولتها.

وفجأة، وبينا كانت ترقد مستيقظة في الظلام، زايلها الاحساس بالوهم، لم يكن هذا حلماً أسود، ولا كابوساً، كان هذا حقيقياً ولا رجعة فيه. إنها لن ترى والدها مرة أخرى، وهي فيما عدا جيزيلا، وهما ليستا حتى صديقتين، أصبحت وحيدة تماماً في العالم.

وفي الصباح التالي كانت شاحبة ولكنها تحتفظ برصانتها، انضمت إلى آل تيرنان لتناول الافطار، وكانت السيدة تيرنان وتشارلوت تتمهلان عادة أمام مائدة الافطار للتمتع بقدح طازج من القهوة بعد أن ينصرف الرجال والأطفال كل إلى شأنه.

وقد بقي سيمون معهما اليوم أيضاً، وقال لها بلهجة الأمر الواقع:

«لن أصحبك إلى المطار ياجولي، سوف يأخذك جيمس إلى فندق كاليبسو ريف لتكوني هناك في الوقت الذي تصل فيه جيزيلا، ويمكنك قضاء ساعة أو نحو ذلك معها، وسأحضرك مرة أخرى فيما بعد.»

فقالت بهدوء:

«شكراً لك، وربما أمكنك أن توصي بمكان لي أقيم فيه، فندق هادىء مثلا... إنني لا أستطيع أن أستغل كرم ضيافتكم أكثر من ذلك.»

فردت آن تيرنان على الفور:

«ياطفلتي العزيزة، لن أسمح بذهابك إلى أي فندق، وأصر على بقائك هنا، إنه ليس عبئاً ثقيلاً، فنحن سعداء جداً بوجودك معنا.»

فاحتجت جولي قائلة:

«ولكنكم قد تحتاجون الكوخ لشخص آخر، وسأحس براحة أكثر وأنا أقف على قدمي.»

فقال سيمون بأسلوبه المعتاد:

«حسناً. لن تسمح لك أمي، إذ سيساورها القلق عليك، فكفي هراء حول الفنادق الهادئة.»

ثم أضاف في لهجة رقيقة:

«يجب أن تمكثي عدة أسابيع، فسوف تحتاجين لبعض الوقت لرسم مستقبلك.»

فقالت تسأله:

«لقد اتخذت قراراً بالفعل، أن أبيع سوليتيس ألا تزال راغباً في الشراء؟»

«بالتأكيد، هل ذكر لك والدك أي سعر؟»

وأومأت برأسها قائلة:

«أجل، قال إنه عرض مناسب جداً لست أدري ماهو الاجراء الآن ولكن أتوقع منك أن تتخذه. وإذا ضمنت الاحتفاظ بالعمة لو وهرقل هناك فإن الجزيرة ملك لك.»

فقطب حاجبيه وقال:

«سوف أتولى المسألة، هناك عقبة واحدة فقط ياجولي، هل تعرفين إن كان أبوك قد ترك وصية؟»

«ليس لدي أية فكرة، ولو أنه فعل فستكون في الخزانة الحديدية الصغيرة مع كل أوراقنا الهامة، ولكن لماذا تسأل؟»

«لأنه إذا لم يكن قد حرر وصية، فإنني أخشى أن تنتقل كل ممتلكاته من الناحية القانونية إلى زوجة أبيك.»

هتفت جولي قائلة:

«أواه... كلا!»

فقال سيمون موضحاً:

«بغض النظر عن الوضع القانوني، فإن عليها بالتأكيد التزاماً أدبياً قوياً بأن تعمل على كفالة ما يعولك.»

فقالت جولي في سخرية:

«إن الالتزامات الأدبية لن تزعج جيزيلا.»

ثم التفتت نحو تشارلوت والسيدة تيرنان وأردفت تقول:
«أخشى ألا يحدث أي وفاق بيني وبين زوجة أبي على الاطلاق...»
فقالت السيدة تيرنان باهتمام:
«أجل... لقد حدثني سيمون ببعض الأشياء عنها، ولا بدّ لي من القول بأن لدّي انطباعاً بأنها قد لاتعاملك كما ينبغي.»
فتساءلت جولي في قلق:
«ولكن كيف يمكنني أن أكسب قوتي؟ أعتقد أنني أستطيع العمل في محل تجاري، ولكنهم هنا لايستخدمون غير الملونين.»
لم تكن هناك أية وصية بين الوثائق في الخزانة الحديدية الصغيرة، وقالت جولي لنفسها بصوت عال وهي تغلق غطاء الصندوق:
«لاأعتقد أنه خطر لأبي أن يكتب وصية.»
وأمضت أغلب اليوم تحاول التفكير في طريقة ما لكسب معاشها، وقالت لنفسها مؤملة: ربما استطعت أن أحصل على عمل كمدرسة للغوص تحت الماء في أحد الفنادق.
وفي السابعة، قادها جيمس في السيارة إلى فندق كاليبسو ريف، حيث كان سيمون في انتظارها عند مدخل الردهة.
وقال في إيجاز:
«جيزيلا في غرفتها تفتح حقائبها، سأعود إليك بعد ساعة.»
وصحب أحد خدم الفندق جولي إلى الغرفة رقم ١٠٤ بالطابق الأول.
كانت جولي قد توقعت أن تتصرف زوجة أبيها حيال الفاجعة بتمثيل دور الأرملة التي تحطم قلبها.
ولكن جيزيلا استقبلتها بدون أي بكاء هيستيري. لم تكن قد وضعت أية مساحيق على وجهها عدا أحمر الشفاه، وقد جمعت شعرها

الأشقر إلى الوراء عند مؤخرة عنقها.

ثم راحت تصف بصوت هادىء ما حدث في الطائرة بين نيويورك وبورتوريكو وانهت حديثها قائلة لجولي:

«كنت تعرفين دائماً أنني لم أكن أحب جوني، أليس كذلك؟ ولو كنت أحبه لما اكترثت بي ولا أظن أنك كنت ستشعرين بالغيرة من أية امرأة يتزوجها. كنت تشعرين أنني خدعته بطريقة ما. حسناً. كنت على حق، فقد فعلت ذلك. لقد تعمدت اصطياده ولم يكن الأمر صعبا. كان وحيداً وسريع التأثر جداً.»

وتوقفت قليلا. ثم مضت تقول:

«سألتني في الأسبوع الماضي لماذا تزوجته! ولو قلت لك لما فهمت يومئذ. ولكن لعلك تفهمين الآن. لقد تزوجته من أجل الأمان، وهو سبب شائع جداً كما تعلمين، بل أكثر شيوعاً من الحب. والله يعلم أنني كنت في حاجة إلى الأمان.»

وأطلقت ضحكة قصيرة جوفاء واضافت:

«لا أظنك فكرت بشأن المستقبل، ولكن فيما غداي أنت وحيدة الآن. كنت في السادسة عشرة عند ما بدأت أعمل لأعول نفسي.»

وتعبت من الوقوف. فألقت بنفسها على مقعد. وقالت:

«لن أثقل عليك بقصة حياتي، ولكن أباك كان أول رجل محترم ألتقي به خلال فترة طويلة جداً. وعرفت على الفور أنه فرصتي الوحيدة للنجاة من ذلك العمل العفن في الفندق، لقد أحبني رجال كثيرون، أو هكذا قالوا. ولكن أحداً منهم لم يطلب مني الزواج.»

وقالت جولي تذكرها:

«ولكنك بعد أن تزوجت أبي أردت الفرار من سوليتير.»

«إن العادة لاتموت بسهولة. كنت أركب أرجوحة المرح في هايتي لمدة

عشر سنوات ولم أكن أحبها ولكني اعتدت عليها، كانت الحياة في سوليتير أشبه بأن تجدي نفسك محبوسة في دير.»

وتوقفت، وعادت تقول:

«من السخرية أنني الآن مستعدة لاعطاء أي شيء للعودة هناك.»

ولأول مرة ازداد صوتها خشونة ولمعت العبرات على رموش عينيها.

وأحست جولي بموجة عطف عليها. كانت تبدو مرهقة، وبدأت تقول في ارتباك:

«لاتشعري بالأسى من أجلي ياجولي، إنني لا أستحق شفقتك، إنك الشخص الجدير بالرثاء. لقد كان أبوك يعني العالم بالنسبة لك.»

ثم قالت في لهجة أكثر حدة:

«ولكن لافائدة من الاكتئاب، علينا أن نقرر ماهو أفضل شيء يعمل، لقد كان لديك وقت للطواف ببربادوس، فهل تعتقدين أننا يجب أن نبقى هنا، على الأقل في الوقت الراهن؟»

فهتفت جولي في حماسة:

«هل نستطيع حقاً ياجيزيلا؟ أعتقد أنها مكان جميل، وفي بريدغتاون بعض المتاجر الرائعة، إنني أود البقاء إذا رأيت أن ذلك يناسبك.»

«حسناً. سوف نبقى، ولكن علينا غداً أن نضع خطة للعمل، لسوء الحظ أنه لن يمضي وقت طويل قبل أن تبدأ في مواجهة متاعب مالية.»

«متاعب مالية؟ ولكن أبي لا بدّ أنه ترك قدراً كبيراً من النقود؟»

«أخشى أنه ليس كثيراً جداً. واللوحات ليست مثل الكتب والموسيقى، فهي لاتستمر في جلب حقوق التأليف سنوات بعد ذلك، إذ لاتكاد تباع، حتى تنقطع صلتها بالفنان، إن قيمة صور جوني سوف تزداد على الأرجح بعد أن مات، ولكننا لن ننتفع إلا من اللوحات التي لم تبع بعد، وقد يمكننا تدبير أمورنا بضعة شهور، ولكن ليس إلى أجل غير

مسمى.»

فقالت جولي مقترحة:

«إن سيمون مازال راغباً في شراء سوليتير، ألا يمكن استثمار هذه النقود؟»

«على المرء أن يستثمر مبلغاً كبيراً جداً من رأس المال ليحصل على دخل محترم، ولكن لاتقلقي، سأفكر في شيء ما، لن نصبح معدمتين بجرة قلم، وعلى أسوأ الأحوال فإنني أستطيع دائماً أن أعود إلى عمل طلاء وتشذيب الأظافر، اخبريني، كيف تبدو أسرة سيمون؟»

ووصفت جولي روز هول وأعضاء أسرة تيرنان العشرة الآخرين، وسمعتا طرقاً على الباب ودخل خادم ليخبر جولي أن السيد تيرنان ينتظرها في الطابق السفلي، وسلم الغلام رسالة لجيزيلا.

فقالت بعد أن قرأتها:

«إنها دعوة من أم سيمون، وهي تقترح أن أذهب لتناول الغداء غداً. سأراك غداً. إتمنى لك ليلة سعيدة ياعزيزتي.»

ثم عبرت المسافة التي تفصل بينهما وطبعت قبلة سريعة على وجنتها وهي تقول:

«لاتدعي القلق يسيطر عليك أنت أيضاً يا جيزيلا، فسوف ندبر أمورنا.»

وعندما خرجت من المصعد إلى الطابق الأرضي، سألها سيمون في إيجاز:

«حسناً؟»

«لقد تغيرت، ألم تلاحظ ذلك بنفسك؟»

فهز رأسه.

وفي السيارة أعادت جولي سرد فحوى حديثها مع جيزيلا. ثم قالت:

«لقد أسأت الحكم عليها. كان ينبغي أن أحاول أكثر لكي أتفاهم معها، وحتى الليلة لم أكن أدرك كم هو كريه أن يعمل المرء في ذلك الفندق، يشذب أظافر أيادي رجال كالوحوش طوال اليوم!»

ولم يدل سيمون بأي تعليق بضع لحظات ثم قال:

«إن الشفقة قد تكون خطيرة مثل التحامل ياجولي، وقد يبدو أن صدمة وفاة والدك قد هذبت جيزيلا، ولكني أشك في أن يدوم هذا الأثر. ومن الممكن أنها تتظاهر بهذا المسلك الجديد حيالك.»

«كلا إنني على ثقة من أنها ليست كذلك، ولماذا يجب أن تفعل؟»

«إنها لاتخطط أي شيء، لقد وافقت على البقاء في بربادوس. وفي أية حال فإنني مدينة لها بالمساعدة الآن، إنها زوجة أبي.»

«في هذا الصباح قلت إنه سيكون نفاقاً أن تزعمي أن موت أبيك قد بدل مشاعرك تجاهها.»

«كان هذا في الصباح، أما بعد أن رأيتها الآن فقد غيرت رأيي، وأقل ما أستطيع عمله هو أن أمنحها ميزة الشك.»

«طالما كنت تعترفين بأن هناك شكاً.»

«ولكنني لا أعترف بذلك، إنني أعتقد أنها كانت صادقة تماماً الليلة. ما الذي يدفعك إلى أن تكون مرتاباً إلى هذا الحد بالنسبة للناس؟»

«هل أنا كذلك؟ إنني لا أدعو نفسي مرتاباً، ولكنني أكبر كثيراً وأكثر خبرة منك.»

فأجابت جولي بشدة:

«إنك لم تجرب ابداً أية مصاعب. فأسرتك كانت موسرة دائماً، أما جيزيلا فقد كان عليها أن تناضل منذ كانت في السادسة عشرة.»

وما كادت الكلمات السريعة تخرج من بين شفتيها حتى تمنت لو أنها أمسكت لسانها. وقالت في تلعثم وكدر:

«إنني آسفة، ليس من حقي أن أقول ذلك رغم كل ماحبوتني به من رعاية.»

ولم يجب سيمون.

وقالت مناشدة إياه:

«أرجوك، لاتغضب، لم أكن أقصد ذلك... حقاً يا سيمون.»

فقال:

«لست غاضباً.»

ولكنها كانت تعرف أنه غاضب، فجلست في صمت يائس بقية الرحلة بالسيارة.

وعندما بلغا روز هوك كان وقت العشاء قد حان، وكان روب وتشارلوت وإيما والتوأمان ذاهبين إلى حفل راقص في تلك الليلة.

واتسعت عينا جولي لدى رؤيتهم، وبينما كان الموكب يختفي عن الأنظار، قال سيمون معلقاً بنظرة ساخرة نحو جولي:

«شباب بربادوس الذهبي!»

وعندما أحضر الساقي العجوز سام القهوة، قالت السيدة تيرنان:

«يا إلهي لقد نسيت الاتصال تليفونياً بماري تشين، لابد أن أفعل ذلك الآن. وهرعت خارجة لاستخدام التليفون في غرفة الجلوس.»

وبعد أن تركتهما، جلس سيمون مرة أخرى وأشعل سيكاراً، وأخذ يدخن ويرمي ببصره عبر المروج نحو شجرة سيبا عتيقة.

وقالت جولي:

«أرجو ألا تبقى من أجلي. إذا كان لديك شيء آخر لتعمله.»

«تعالي معي إلى المكتب.»

ونهض وسار نحو الباب حيث انتظر أن تتبعه.

أحست جولي بنوبة ذعر، ألا يزال غاضباً بسبب كلماتها الفظة الخشنة في السيارة، حتى أنه سيقترح عليها مغادرة روز هول والانضمام إلى جيزيلا في الفندق. وبعد أن أغلق الباب خلفهما سار سيمون نحو لوحة زيتية معلقة على الحائط خلف المكتب، وكانت تصور رجلا له ملامح تماثل بصورة ملحوظة ملامحه هو، ويضع على رأسه باروكة شعر مستعار مجعد، ويرتدي ياقة ذات أطراف مطرزة.

وقال بعبارة جازمة:

«هذه صورة سيمون تيرنان آخر، جاء إلى بربادوس في علم ١٦٥٣، كرقيق!»

فرددت جولي قوله وهي مشدوهة:

«رقيق؟»

«كان ملكياً، من رجال الملك. وبعد أن أعدم تشارلز الأول بواسطة كرومويل أبعد كثيرون من الضباط الملكيين إلى بربادوس كعبيد. وبمجرد وصوله، باعه مالكه الأول إلى سيد آخر مقابل ١٥٠٠ رطل من السكر. وظل عبداً حتى عودة الملكية في ١٦٦٠، وهنا شيء آخر قد يهمك.»

وأشار إلى وثيقة من الرق في إطار معلق على مقربة من الصورة، وقال:

«إنها نسخة من تقرير الحاكم عن إعصار عام ١٩٣١.»

وقرأت جولي الكلمات المكتوبة بخط اليد...

وفي مساء اليوم العاشر، غربت الشمس على مشهد طبيعي من الجبال والخصوبة الفائقة، وأشرقت في الصباح التالي على مشهد من

الخراب والدمار الشامل. كان المنظر عند فجر يوم الحادي عشر الجاري أشبه بشهر يناير في أوروبا. كل شجرة إذا لم تكن قد اقتلعت تماماً. قد فقدت أوراقها والعديد من أغصانها. وكل بيت فى مرمى بصري أصبح مسوى بالأرض، أو مدمراً فعلاً. وكل ساعة تجلب أخباراً عن أكثر الحوادث إثارة للأسى، وحدث الكثير جداً من الوفيات المذهلة.

وقال سيمون بصوت لايشو به انفعال:

«في تلك الليلة دمر البيت الأصلي الذي كان في هذا الموقع تماماً. وفي اليوم التالي توفيت لوسي تيرنان خلال وضع طفلها. ولحسن الحظ عاش ابنها، وإلا لما كنا هنا اليوم. وهكذا ترين أن آل تيرنان قد واجهوا نكسات في زمنهم.»

وقبل أن تتمكن جولي من قول أي شيء، ظهر وجه أمه عند الباب وقالت:

«هل أنت هنا ياسيمون؟ بن تشيز يريد أن يتحدث معك، وهو ينتظر الآن على الخط التليفوني.»

«حسناً، سوف أتلقى المكالمة هنا.»

ثم قال لجولي:

«أرجو المعذرة.»

وجلس سيمون أمام مكتبه ورفع سماعة التليفون.

وبينما كانت جولي تتبع السيدة تيرنان إلى القاعة بعد أن أغلقت باب المكتب بهدوء، قالت لها السيدة في عطف:

«إنك تبدين مرهقة ياعزيزتي، أكانت مقابلتك لزوجة أبيك محنة؟»

«كلا، ليس تماماً.»

وبعفوية وصفت جولي تحول جيزيلا الظاهر، ثم قالت في حيرة:

«ولكن سيمون يعتقد أن كل ذلك قد يكون خداعاً.»
فقالت آن بعد ان فكرت:
«حسناً، إن سيمون عادة قاض يحكم جيداً على الشخصيات. ولكنني أفخر بتقديري أنا أيضاً. فلنر ما سيكون رأيي عندما أقابلها على الغداء غداً.»
عندما خرجت جيزيلا من سيارة الأجرة في الواحدة إلا ربعاً من اليوم التالي، كانت ترتدي بلوزة بيضاء، بينما كان شعرها الذهبي لايزال مثبتاً خلف وجهها.
وبينما كانت تصافح مضيفتها، قالت بسرعة:
«لا أدري كيف أشكرك على رقتك الرائعة حيال جولي.»
لم تكن جولي قد رأت سيمون منذ تركته في المكتب الليلة السابقة، وعندما أقبل إلى الغرفة واعتذر عن تأخره، لم تستطع أن تمنع وجنتيها من الاحمرار.
ومما أثار الدهشة أنه بعد الغداء عرض على جيزيلا أن يريها الحديقة.
وبعد أنصرافهما سألت تشارلوت جولي:
«أهذا الشعر الرائع طبيعي؟»
فقالت جولي وهي مأخوذة:
«ألا يبدو كذلك؟»
لم يكن قد خطر لها أن جيزيلا ربما كانت تصبغ شعرها.
وقالت السيدة تيرنان:
«لا أعرف ما إذا كان شعرها طبيعياً، بيد أن سلوكها يبدو لي حقيقياً تماماً. وإنني أعجب لماذا يشعر سيمون أنه قد لا يكون كذلك.»
وعندما عادت، قالت:

«يجب علينا حقاً ألا نثقل على كرم ضيافتكم أكثر من ذلك يا سيدة تيرنان. ومن حسن الحظ أن فندقي غير ممتلىء في هذا الوقت. والغرفة المجاورة لغرفتي خالية، وتستطيع جولي أن تعود بعد الظهر.»

كان هذا تطوراً لم تتوقعه جولي، وقد فوجئت به.

وكذلك بدت السيدة تيرنان مجفلة، وبدأت تقول:

«ولكننا نود أن تبقى هنا، إلا إذا كنت بطبيعة الحال.»

ثم توقفت فجأة ونظرت إلى ابنها.

ولأول مرة منذ دخل سيمون قاعة الطعام منذ أكثر من ساعة، نظر مباشرة إلى جولي وقال بسرعة:

«سوف تفضلين بطبيعة الحال أن تكوني مع جيزيلا الآن، وأنا غير مطلوب في المصنع بعد ظهر اليوم، وعندما تجمعين أشياءك فسوف أصحبكما معاً إلى الفندق.»

وبعد ثلاثة ايام، وبينما كانت جولي في غرفتها سمعت طرقاً على الباب.

وفتح الباب الخارجي، وسار سيمون خلال الردهة الصغيرة إلى غرفة نومها. وقال بطريقته السريعة القاطعة:

«صباح الخير، ظننت أنك قد تحبين إلقاء نظرة على المصنع.»

فقالت متلعثمة بصوت مهتز:

«صباح الخير.»

فأضاف سيمون:

«ولكن ربما كانت لديك خطط أخرى؟»

«كلا، إنني أود الذهاب، لو انتظرت فقط في الطابق الأسفل ريثما أرتدي ملابسي.»

فقال:

«بكل تأكيد.»

ودار على عقبيه وخرج.

كان في استطاعتها عادة أن ترتدي ملابسها في خمس دقائق، غير أن ظهوره غير المتوقع أثار ارتباكها، حتى أنه مرت خمس عشرة دقيقة تقريباً قبل أن تخرج من المصعد.

ورأت على الفور أن هناك أشخاصاً أكثر من المعتاد في تلك الساعة.وكان سيمون يفحص مجموعة من الكتب ذات الطبعات الشعبية قرب كشك المجلات، ويهز العملات المعدنية الصغيرة في جيبي بنطلونه بذهن شارد.

وعندما لم يلحظ على الفور وقوفها بجواره، غمغمت قائلة:

«إنني جاهزة، آسفة لتأخري كل هذا الوقت.»

فوضع يدا تحت مرفقها وقال:

«لا داعي للعجلة. »

وساءلت نفسها في حيرة: أي شيء جعله يريد رؤيتها؟

وقال سيمون وهو يوقف السيارة:

«إننا لسنا في فترة المحصول في الوقت الحالي، فالقصب يتطلب بين ١٢ و ١٨ شهراً لينضج، ولن نجني المحصول مرة أخرى حتى الربيع. ولايزال القطع باليد أفضل طريقة، ولكننا الآن نستخدم مقطورات الجرار بدلا من العربات التي تجرها الحمير، لنقل الشحنات إلى المصنع.»

وشرح لجولي أين يوزن القصب المقطوع، ويوضع على حزام متحرك يأخذه إلى داخل المصنع.

وقال لها وهما يدخلان المبنى:

«إننا نستخدم هنا الطريقة الحديثة لتقطيع القصب وعصره ثم نقل

العصير إلى خزانات لتصفيته. ثم يعالج بالكلس لفصل كل الشوائب.»

ولم تكن جولي تتوقع أن يكون المصنع بهذا القدر من الانسياب والميكنة المتقدمة. إذ كانت قد تخيلت أن كل عمليات التكرير تتم بأكثر الوسائل بدائية.

وعندما تجرأت على أن تذكر ذلك رفع سيمون حاجبه في سخرية وقال متهكماً:

«نحن في عام ١٩٧٩ وليس ١٨٧٩. إن مصنعنا من أكثر المصانع تقدماً في جزر الهند الغربية.»

وبعد أن أراها المعمل حيث ينهمك كيميائيون ذوو معاطف بيضاء في تحليل التربة، أخذها إلى مكتبه لتتذوق عينات من الانتاج في النهاية.

وبعد أن قدم لها كأساً من المشروب، جلس في مقعده الدوار وراء مكتبه وأشعل سيكاراً ثم قال متسائلا:

«كيف تسير علاقاتك الجديدة مع جيزيلا؟»

فأجابت جولي بهدوء:

«لدى جيزيلا مشروعاً لمستقبلنا. إن أبي لم يترك لنا مالا يكفينا إلى أجل غير مسمى، ومن ثم فسيكون علينا أن نكسب عيشنا عاجلا أو آجلا. ولما كنت غير مدربة على أي شيء، فهي تعتقد أنها ستكون فكرة طيبة لو أننا افتتحنا فندقاً صغيراً.»

فقال سيمون في لهجة لاذعة:

«على أن تكون جيزيلا هي المديرة الفاتنة، وأنت الخادم التي وراء الكواليس!»

«هذا ليس إنصافاً.»

فنهض واقفاً ودار حول المكتب حيث كانت تجلس وقال:
«حسناً... لن نتجادل في ذلك، إن لدّي فكرة أفضل.»
فسألته في حذر:
«حقاً! ماهي؟»
فأمسك كأس الشراب التي كانت في يدها ووضعها على المكتب، ثم أمسك بكلتا يديها وأوقفها على قدميها في مواجهته.
وضاقت عيناه الرماديتان ولمعت ببريق عجيب؛ ثم قال بلهجة حاسمة:
«أعتقد أن أفضل مشروع لمستقبلك هو الزواج...مني!»

٦ ـ مشروع ابتسامة

كانت لاتزال فاغرة فمها في شك وهي تنظر إليه عندما رنّ جرس التليفون بعد حوال عشر ثوان.

وزمجر سيمون! ثم أطلق يديها وقال:

«سيمون تيرنان يتكلم.»

غاصت جولي في مقعدها مرة أخرى وهي تشعر بضعف في ركبتيها.

وظل سيمون ممسكاً بالتليفون ثلاث أو أربع دقائق، وأخيراً قال في لهجة جافة:

«لايمكنني الحضور الآن. عليك أن تعالج الموقف كما تراه مناسباً.»

وأعاد السماعة إلى مكانها، ثم قال بلهجة أكثر اعتدالا:

«آسف. والآن هل بدأت تفيقين من صدمة طلبي الزواج منك؟»

وتنفست بعمق غير منتظم وقالت في ضعف:

«لماذا؟»

فمال في مقعده للوراء ثم سألها وفي عينيه بريق يكشف عن ابتسامة:

«هل تصرفي بالدافع المعتاد أمر غير متصور إلى هذا الحد؟»

فقالت بصوت خافت:

«لايمكن أن تقصد أنك تحبني.»

فرفع أحد حاجبيه وقال:

«ولم لا؟»

كان ذهنها في حالة من الارتباك تمنعها من القدرة على الادلاء بأي رد محمود ومنطقي، وأخيراً قالت جولي:

«حسناً... لايمكن أن تكون كذلك.»

فقال في ابتسامة ساخرة:

«إنك تقللين من شأن نفسك ياجولي، وعندما تتسع دائرة معارفك فإنني أعتقد أنه سيكون هناك رجال كثيرون يحبونك. إلا إذا قررت قبول اقتراحي بطبيعة الحال. هل ينبغي أن أسرد بعض الأسباب التي تجعل الناس يحبونك؟»

ولما لم تجب ، قال:

«أولا، أنت فتاة جميلة جداً. والجمال كما تعلمين ليس مقصوراً على الشقراوات ذوات العيون الخضراء. وعلى عكس بعض الفتيات ذوات المظهر المذهل. فأنت ذكية. ويمكنك الطهو.»

وتوقف لحظة. ثم أضاف بلهجة جافة:

«وأنت أيضاً مخلصة بشدة. والاخلاص صفة أقدرها تقديراً عالياً. حتى إذا وضعت أحياناً في غير موضعها. وهناك رصيد آخر لك. على الأقل من ناحيتي، هو أنك خبيرة بالبحر. فإنني أحب الانطلاق بعيداً من حين إلى آخر. وأعتقد أنك سوف تتمتعين بالبحر في سيفيرار مثلما أفعل. والآن ألا تزالين تعتقدين أنني لايمكن أن أكون قد أحببتك؟»

فقالت بأنفاس لاهثة:

«لست أدري، فنحن لم نلتق إلا منذ حوال أسبوعين.»

فقال وهو يهز كتفه:

«إن المواقف الملحة تتطلب قرارات فورية، ولو كانت ظروفك مختلفة لكنت أقل عجلة. قد لاتعرفين ماذا تعتقدين، ولكن المفروض أنـك تعرفين ماذا تشعرين به. فإذا كنت ترين، على سبيل المثال أنني مثير للاشمئزاز من الناحية الجسمانية، فإن المسألة تكون قد انتهت فوراً.»

وازداد احمرار وجنتيها، فقالت تغمغم في ارتباك:

«بالطبع لا أجدك منفراً.»

«لقد قدمت أمثلة مقنعة على ذلك من حين لآخر.»

وأخذت تعبث بمقبض حقيبتها، ثم قالت بصوت منخفض:

«إنك... إنك تثيرني أحياناً، فأضطرب وأقول أشياء لا أعنيهـا على الاطلاق.»

«فهمت، والآن إذا وافقت على الزواج مني، فإنني أعدك بألا أثيرك مرة أخرى، فما رأيك؟»

ورفعت عينيها فالتقتا بعينيه وقالت:

«هل تمزح؟ أهذا كله مزاح؟»

«ياطفلتي العزيزة، إن الرجال الذين يعرضون الزواج على سبيل المزاح عرضة لأن يجدوا أنفسهم مثاراً للضحك، ماذا يجب أن أفعـل لكي أقنعك بأنني جاد؟ هل أقفز على المكتب وأحتضنك بحماس وأتوسـل إليك أن تجعليني أسعد رجل في العالم؟ قد أكون مخطئاً ولكن كان ينبغي عليّ الاعتقاد أن أي عرض للعاطفة من جانبي قد يثير أعصابك بصورة قد تكون أشد من هذه المناقشة غير العاطفية، وفضلا عن ذلك فإذا كنت تشعرين بخيبة أمل لأنني لم أطارحك الغرام من قبل، فإن هذا النقص يمكن علاجه بسهولة.»

وشرع في النهوض عن مقعده فقالت جولي بسرعة.

«كلا... كلا... إنني أفضل مناقشة الأمر بتعقل، إنني أعني فقط أنني

غير قادرة على استيعاب، أنك طلبت الزواج مني.»
«حسناً. قبل أن تلتزمي بشيء يستحسن أن يكون لك مزيد من الوقت لاستيعاب الفكرة، الساعة الآن حوال الثانية عشرة والنصف، فهيا إلى المنزل لنتناول الغداء.»

وسألته جولي وهما في السيارة:
«هل حدثت والدتك عن ذلك؟»

فقال بابتسامة:
«كان من الممكن أن أفعل ذلك، منذ عشر سنوات، أما الآن فإنني أتخذ قراراتي بنفسي.»
«ماذا ستظن؟ ألا يزعجها ذلك بشدة؟»
«إذا رفضَتني، فلن تعمل شيئاً، أما إذا قبلت، فسوف يسعدها ذلك، فهي تحاول أن تجعلني أتزوج خلال الخمس سنوات الماضية.»
«ربما... ولكن ليس من واحدة مثلي.»

فرفع إحدى يديه عن عجلة القيادة وأمسك إحدى يديها قائلاً:
«يجب أن تتخلصي من عقدة النقص هذه. إنني لا أتحمل الأشخاص الذين يقللون دائماً من شأن أنفسهم.»

وعندما توقفت السيارة أمام المنزل هرع الكلب سيرأرشيبالد لاستقبالها وعندئذ قال سيمون بابتسامة بعد أن دفع الكلب الضخم عنها:
«هناك نقطة أخرى لصالحك، وهي أن كلبي موافق.»

وبعد الظهر عاد سيمون بجولي الى الفندق وعندما توقفت السيارة، تحول إلى مواجهتها وقال:
«هل بدأت الصدمة تتلاشى الآن؟ وهل قررت إن كان في استطاعتك أن تقضي بقية حياتك في سعادة في روزهول؟»

كان هناك حافز يدفعها لأن تقول أجل، أجل، يمكن أن أكون سعيدة معك في أي مكان بيد أن شيئاً ما أوقفها، وقالت بدلا من ذلك:

«هل يمكنني أن أفكر في الأمر هذه الليلة؟ إن اتخاذ قرار شيء هام جداً.»

«حسناً، إنني أمنحك حتى ظهر غد. وإذا لم يمكنك حزم أمرك عندئذ، فإنك لن تفعلي ذلك أبداً، ياحبيبتي. لقد تجاوزت السن التي أستطيع فيها أن أحتمل الحيرة إلى أجل غير مسمى، اتصلي بي تليفونياً في الثانية عشرة.»

وأومأت جولي قائلة:

«أجل... غداً في الثانية عشرة.»

واستدارت لتفتح الباب وتدلف من السيارة، ولكن سيمون وضع يداً على ذراعها وأمسكها قائلا:

«عندما يتعلق الأمر بقرارات حيوية حقاً، فإن الغريزة عادة مرشد أفضل من العقل ياجولي.»

وحرك يده، وراح يتحسس البشرة الرقيقة، برقة بالغة... وأدار وجهها نحوه.

وبدأت خفقات قلبها تسرع، لقد جعلتها لمسته تحس بالضعف وقال سيمون وعلى شفتيه مشروع ابتسامة:

«لا أعتقد أنه من الصعب أن أجعلك تقولين نعم الآن ياجولي، ولكن فكري في الأمر خلال نومك إذا شئت، هيا انطلقي.»

ولم تكد تغادر السيارة وتغلق الباب خلفها، حتى أدار المحرك وانطلق بسرعة عندما بلغت جولي غرفتها.

وأقبلت جيزيلا من خلال الباب الذي يصل بين الغرفتين وقالت:

«سمعتك تدخلين، أين كنت؟»

وقالت بصوت أجش:

«ذهبت لزيارة آل تيرنان، هل حالفك الحظ في البحث عن منزل؟»

فسارت جيزيلا إلى الشرفة وجلست على مقعد طويل برشاقة وقالت:

«ليس بعد، ولكن هناك الكثير من الوقت أمامنا.»

وبقيت في مكانها تتحدث مع جولي نصف ساعة، ثم ذهبت لتأخذ حماماً.

وتناولتا العشاء في شرفة جيزيلا، اعتذرت بعده جولي وقالت إنها ستذهب إلى الفراش مبكرة، فقالت جيزيلا انها لن تتأخر هي أيضاً بعد ما أصابها من تعب في البحث عن منزل طوال اليوم، ولكنها ستقوم بجولة في الحدائق على قدميها قبل أن تعود.

وفي الثامنة من صباح اليوم التالي اتصلت بروز هول ورد عليها الساقي سام فطلبت التحدث إلى سيمون، وعندما سمعت وقع أقدامه وهو قادم إلى القاعة، جف حلقها فجأة فابتلعت بعض الماء من الكوب الموجود بجوار فراشها.

وقالت في تلعثم:

«صباح الخير. أردت أن أبلغك بقراري، إنني أود جداً أن أتزوجك ياسيمون.»

ومرت فترة سكون طويلة حتى أنها ظنت أن الخط قد قطع، فقالت في لهفة:

«هالو! هل أنت هناك؟»

«أجل، أنا هنا، هذا جميل ياجولي، شكراً لك.»

وأحست بشيء في صوته جعلها تقول:

«ألم تغير رأيك؟ ألا يزال العرض قائماً؟»

فقال ضاحكا:

«أجل، لايزال العرض قائماً. هل تناولت إفطارك؟»

«كلا. لقد استيقظت لتوي.»

«حسناً. تناولي شيئاً، وسأكون عندك بعد خمس وأربعين دقيقة وسنذهب إلى بريدغتاون لنشتري خاتماً.»

وطلبت جولي إفطاراً في غرفتها، ثم ذهبت إلى غرفة جيزيلا، وهزتها لتوقظها وقالت لها:

«سأرحل خلال نصف ساعة، وإذا أردت الاتصال بي لأي سبب فسأكون في روزهول مع آل تيرنان.»

فجلست جيزيلا في فراشها وقالت:

«إذن سوف تعيشين عالة عليهم، أليس كذلك؟ إلى متى تعتقدين أنهم سوف يتحملونك؟ ليس لفترة طويلة ياعزيزتي، فإلى أين تذهبين بعد ذلك؟»

«سأعيش هناك بصفة دائمة، زوجة لسيمون.»

وعادت إلى غرفتها.

وبينما كانت تجمع حاجياتها، أقبلت جيزيلا إلى غرفتها، والعجيب أنها لم تظهر أية دهشة لما أعلنته الفتاة الصغيرة، بل استندت إلى مدخل الباب الموصل بين غرفتيهما وأشعلت سيكارة وقالت:

«تهنئتي، متى حدث كل ذلك؟ أمس، لماذا لم تبلغيني الليلة الماضية؟»

«أردت الاحتفاظ بالنبأ لنفسي بعض الوقت.»

وأقبل الخادم بصينية الافطار، وعندما أصبحتا بمفردهما مرة أخرى، قالت جيزيلا:

«إذن فقد سلمت قلبك إلى سيمون تيرنان؟ عندما جاء إلى سوليتر أول

مرة زعمت أنك لاتستطيعين احتماله.»

فقالت جولي بهدوء:

«حسناً، إنني أحبه الآن، وبمعجزة ما يحبني هو أيضاً.»

«متى سيكون الزفاف؟»

«لست أدري، لم نناقش الأمر بعد.»

«لقد وقعت واقفة. ومن الآن فصاعداً ستكونين في رفاهية ياحبيبتي.»

«إنني مستعدة للزواج من سيمون ولو لم يملك مليماً.»

«بالتأكيد، فأنت من النوع الخيالي، آمل أن توجهي لي الدعوة لحضور الزفاف، إذ سيبدو الأمر غريباً إذا لم تفعلي ونحن لانريد أن تنشر صحيفة الديلي نيوز قصة أخرى محرجة، أليس كذلك؟»

«أنت التي اعطت الصحيفة تفاصيل حول ليلة الاعصار في جزيرة اوراغان وتسببت في احراج سيمون.»

«المهم الان... لن اقول وداعاً. بل الى اللقاء.»

وأطلقت ضحكة ثم توجهت إلى غرفتها وأغلقت الباب.

وكانت جولي تقف عند المدخل عندما جاء سيمون في سيارته ووضع حمال الفندق متاعها في الحقيبة الخلفية للسيارة.

وقالت جولي:

«لا بدّ أنك تعجب لأنني أحضرت حقيبتي، هل يمكنني العودة إلى الكوخ ياسيمون؟ إنني أكره البقاء هنا، فهل تمانع والدتك؟»

«كلا بطبيعة الحال، أخبرت أمي بمشروعنا، وقد سلمتني رسالة لك.»

وأخرج من جيبه الداخلي مظروفاً. وجدت جولي فيه رسالة تقول: عزيزتي جولي. لايمكنك تصور مبلغ سعادتي بمفاجأة سيمون. تمتعا بيومكما معاً. فستكون هناك مفاجأة في انتظاركما عندما تأتيان إلى المنزل. آن.

وعندما رفعت جولي وجهها عن الرسالة كانت عيناها مغرورقتين بالدموع، فقال سيمون في دهشة:

«إنها مسرورة جداً ياطفلتي العزيزة، ماذا كتبت لكي تجعلك تبكين؟»

فقالت بصوت مختنق:

«لا، لاشيء إنني سعيدة جداً فقط»

وضحك سيمون، واحتضنها بسرعة ثم ألقى منديله في حجرها وقال مبتسماً:

«ياللنساء!»

كان قد اتصل تليفونياً بأحد تجار الحلى في بريدغتاون، ولدى وصولها كانت هناك مجموعة منتقاة من خواتم الخطوبة الثمينة جاهزة لفحصها، وجربت جولي عدداً من الخواتم المحلاة بالزمرد، والماس، والياقوت الأحمر، فقال لها سيمون أن تتمهل في الاختيار لأنها ستضع الخاتم في أصبعها طوال حياتها.

وقال لها بائع المجوهرات:

«إن الياقوت الأزرق مناسب تماماً فهو يتمشى مع عينيك يا آنسة تمبل.»

فابتسمت جولي واحمر وجهها وقالت:

«هل يمكنني أن أجرب هذا ياسيمون؟»

وأشارت إلى خاتم وسط مجموعة من البروشات الأثرية والدلايات موضوعة على مقربة. وكان الشكل الذي لفت نظرها قلباً ذهبياً مرصعاً بفصوص دقيقة ذات لون أخضر.

وبدا الجواهري مأخوذاً وقال بسرعة:

«ولكنه لايناسب خاتم خطبة.»

ونظر إلى سيمون باستنكار وأضاف:

«إنها لاتساوي غير ثمانية وأربعين دولاراً. وهي من النوع الذي يروق للسيدات الأمريكيات كتذكار رخيص الثمن.»

كانت جولي قد وضعت الخاتم العتيق في أصبعها وقالت:

«إنه يناسبني تماماً، إنه جميل ياسيمون، هل أستطيع أخذه؟»

وضاقت عيناه الرماديتان ونظر إليها نظرة لم تعرف معناها وقال:

«هل تفضلينه حقاً على الخواتم الأخرى؟»

فسألته في لهفة:

«ألا ترى ذلك؟»

فقال سيمون للجواهري:

«سنأخذه.»

وفي السيارة بدأ يضحك، فسألته جولي في حيرة:

«ماذا يضحكك؟ قل لي ياسيمون حقاً!»

فوضع ذراعه حول كتفيها وقال:

«أنت ياحبيبتي، إياك أن تذهبي إلى هذا المكان بمفردك، إذ قد لايستطيع دا سوزا المسكين أن يمنع نفسه من لوي عنقك!»

«لماذا؟ ماذا تقصد؟»

«إن الخواتم التي اختارها لنا تكلف عدة آلاف من الدولارات. ولا بد أنها كانت لطمة عنيفة جداً له عندما طرحتها جانباً وتمسكت بخاتم رخيص جداً.»

«عدة آلاف من الدولارات! لو كنت أعرف ذلك لما نظرت إليها. إن الناس لايختارون خاتماً من أجل سعره، وخاصة إذا كان خاتم خطوبة»

فقال في رصانة:

«كلا، بطبيعة الحال، إنك على حق تماماً.»

وجذبها نحوه أكثر وقال:

«هل تعرفين أنني لم أقبلك بعد؟»

وبدأت الرعشة تسري في جسدها مرة أخرى وقالت:

«لايمكنك أن تقبلني هنا، ليس في الشارع.»

وبدت نظراته تهكمية لحظة، واعتقدت أنه قد يقبلها كمجرد شقاوة ولكنه تركها، وأدار المحرك.

وأخذها إلى كاريناج، الميناء الداخلي للمدينة، حيث ترسو سفن الرحلات الكبيرة والسفن التجارية ذات الصواري العالية، ويخوت النزهة وأنواع أخرى عديدة من السفن الأخرى.

وهتفت جولي عندما شاهدت زورقه البحري على مسافة قريبة أمامها:

«ها هو سيفيرار.»

وتساءلت عما إذا كان سيمون قد يقترح الصعود إليه، حتى يمكنه أن يقبلها في عزلة. لقد أحست أنه بمجرد أن يقبلها فإن خطبتها ستبدو أكثر واقعية.

ولكن فكرة العزلة التي يكفلها اليخت لم تخطر ببال سيمون، الذي استدار عائداً نحو جسر تشمبرلين وقال:

«لنذهب ونأخذ شراباً في محل غودارو. فلدينا خطط كثيرة نعدها.»

وفي الشرفة المطلة على المركز التجاري الصاخب، تناولت جولي وسيمون شرابهما:

وسألها:

«هل أنت مستعدة للزواج فوراً. أم أنك تريدين خطبة طويلة حتى تتاح لك فرصة لمراجعة فكرك؟»

فقالت في خجل:

«لن أغير فكري.»

«حسناً، لن تريدي زفافاً كبيراً نظراً لحداثة العهد بموت أبيك ولذلك أقترح أن يكون زفافاً هادئاً جداً في الأسبوع المقبل. وقد فكرت في قضاء عطلة بعد ذلك، سنذهب إلى جزيرة بيكويا لنرى العمة لو وهرقل ونبدأ في تنظيم عملية إعادة البناء. أم أنك تفضلين عدم التفكير في سوليتير في الوقت الحاضر؟»

وتعجبت، لماذا يسميها أجازة وليس شهر عسل.

وردت ببطء قائلة:

«لو مات ابي في الجزيرة، فربما كنت لا أحب العودة إليها. أما كونه مات بعيداً عنها، فلا أظن أن الذهاب الى هناك سيضايقني، إنني أعلم أنه لم يكن يتوقع مني أن أعيش في حداد صارم عليه.»

«ألم يرسم لك أية لوحة؟»

فابتسمت قائلة:

«أجل، كثيراً، ولكنها لم تكن لوحات، أو صور فيها شبه ملحوظ بل كان يستخدمني للتعبير عن حالات نفسية.»

وبعد الغداء، وفي طريق العودة إلى البيت سألها سيمون:

«كيف كان رد فعل جيزيلا عندما حدثتها عنا؟»

«لقد تلقت النبأ بهدوء شديد، وأعتقد أنها سعيدة للتخلص من مسؤوليتها عني، وقد كنت أنت على حق، فأنا وهي لم يكن من الممكن أن نتفق، ولا يمكنني أن أقول بصدق أنني أشعر بأي ذنب بشأن التخلي عنها.»

«دعينا نأمل أن ترحل مع أحد السياح وتختفي عن مدارنا. إنني لا أبالي ببعض وسائلها.»

وتساءلت جولي عما يعنيه بالضبط وكانت تود أن تسأله عن ذلك لولا أنهما وصلا في تلك اللحظة إلى روزهول وأقبل الكلاب

والأطفال مسرعين لاستقبالها.

وبدا أن آل تيرنان جميعاً قد تقبلوا خطبة جولي المفاجئة باستحسان. ولما كان الزفاف سيتم في الأسبوع التالي، فقد اتفق كل من السيدة تيرنان وتشارلوت وإيمّا على أن من الأمور الملحة جداً أن تختار جولي نموذجاً لثوب زفافها.

وقضين المساء يقلبن صفحات أكوام من مجلات الأزياء للبحث عن تصميم مناسب يقوم بنقله صانع الملابس المفضل لديهن في بريدغتاون.

ومضت الساعات بالنسبة لجولي في دوار من السعادة، ولكن حان الوقت أخيراً لكي يصحبها سيمون إلى الكوخ، وكانت تلك هي اللحظة التي تتوق لها في أعماقها.

وقال لها وهو يتقدم الطريق بعد أن غادرا المنزل:

«لا بد أنك مرهقة، أليس كذلك؟»

«كلا، أشعر أنني مستيقظة تماماً، يالها من ليلة.»

وقال في صوت رقيق:

«في أية حال فإن الوقت مناسب لنومك، وإذا كنت أعرف أمي والفتيات فإنهن سوف يسحبنك من الفراش مع إشراقة الفجر لكي ينتهين من مسألة ثوب الزفاف. إنك في الأيام القادمة لن تعرفي إن كنت ذاهبة أم آتية!»

ودست يدها في يده قائلة:

«لست واثقة تماماً من ذلك الآن.»

وضحك، ثم ضغط على يدها بخفة وقال ليغيظها:

«كم كأسا شربت؟»

وأحست ببعض خيبة الأمل. لقد كانت تعتقد أنه سيقول شيئاً

عاطفياً مما يقوله العشاق، شيئاً عما يحسه!

وعند باب الكوخ قال لها:

«والآن لاتقضي الليل مستيقظة مفكرة في ثياب زفافك، فإنني لا أريد أن تتعثر عروسي أمام مذبح الكنيسة وقد أحاطت الهالات بعينيها طاب مساؤك ياحبيبتي، نامي جيداً.»

وبعد أن ترك يدها، لمس جبهتها بشفتيه، وانصرف.

وراقبته جولي وهو يسير، وساءلت نفسها: لماذا لم يقبلها قبلة حقيقية؟

في الصباح التالي تلقت رسالة من جيزيلا بداخلها شيك بمبلغ أربعمائة دولار، وكتبت زوجة أبيها تقول:

عزيزتي جولي، سوف تحتاجين لبعض النقود من أجل ثوب الزفاف الخ، وسوف يصرف سيمون هذا الشيك لك.ج

كان قرار جولي في البداية أن تعيد الشيك إليها. فإنها تفضل أن تتزوج بأسمال بالية على أن تقبل أي إحسان من جيزيلا. ولكنها بعد مزيد من التفكير أدركت أنها إن لم تقبل النقود، فإنها ستضطر إلى أن تطلب من سيمون دفع ثمن ثوبها، وابتلعت كبرياءها وقالت لنفسها إن هذه نقود أبيها في أية حال، إن جيزيلا لاتقدم لها أي معروف.

وكان رد فعل سيمون الأول مماثلا لها، وقال لها باقتضاب:

«أعيديه لها، وإذا كانت جيزيلا مسرفة كما أتصور فإنها سوف تحتاج إلى كل بنس تركه والدك.»

وبعد مناقشة قصيرة، أقنعته جولي بوجهة نظرها، فقال في تردد:

«حسناً، سوف أصرفه لك، إذا أصريت على ذلك. ولكني لا أستطيع حقاً أن أقرّك على طريقة تفكيرك. ولعلك لن تمانعي في الاعتماد عليّ بعد زواجنا.»

فأجابت جولي:
«هذا أمر مختلف. إنني بهذه الطريقة سوف أشعر أن أبي شارك بجزء في الزفاف.»

وكما تنبأ سيمون، فإن الأيام السابقة للزفاف كانت حافلة بالاستعدادات حتى أنها لم تجد وقتاً كثيراً لنفسها.

في الليلة السابقة لزفافها جعل سيمون جولي تذهب إلى فراشها في التاسعة مساء. ولكن بينما كان على وشك مصاحبتها إلى الكوخ، نودي لمكالمة تليفونية، فقال لشقيقه الأصغر:
«اذهب معها ياجو، سأراك في الحادية عشرة صباح غد ياحبيبتي. فلا تتأخري، ونامي جيداً.»

ورفع يدها وقبلها.

وفي طريقهما إلى الكوخ تحت ضوء القمر في الحديقة أحست جولي بشعور عجيب في قلبها. لماذا لم يجعلها سيمون تنتظر حتى ينتهي من مكالمته؟ الأمر يبدو وكأنه كان سعيداً إذ وجد حجة لتفادي لقاء أخير معها وجهاً لوجه، أم أن المسألة مجرد خيال أحمق منها؟

وعندما جلست في فراشها قالت لنفسها: في مثل هذا الوقت غدا سأكون السيدة سيمون تيرنان، ولن يصبح لجولي تمبل وجود. لقد عرفته منذ أقل من شهر، وغداً سوف أمنحه مابقي من حياتي. أكان من الجنون الزواج بمثل هذه السرعة؟ وهل كل العرائس يشعرن هكذا عشية زفافهن، الخوف، والحيرة، والشكوك الكثيرة؟ ولكن لعل سيمون يشعر هو الآخر بعصبية مثلها، وربما كان هذا هو سبب تهربه من أن يتمنى لها ليلة طيبة هذه الليلة، ولكنه لا يبدو عصبيا فهو واثق دائماً من نفسه؟

وبينما كانت تغير وضعها وتقلب وسادتها في قلق، علمت أن جذور

شكها ترجع إلى أنه لم يسع ولو مرة واحدة خلال فترة خطبتهما القصيرة لكي ينفرد بها ويبثها لوعة حبه.

كان لطيفاً وفاتناً، ولكنه لم يكن عاشقاً متحمساً. فقد قبل وجنتها عندما انضمت إلى الأسرة على مائدة الافطار، وكثيراً ما أمسك يدها، وأحاط كتفيها أو خصرها بذراعيه، ولكنه لم يقبلها على شفتيها أو يعرب عن مشاعره بالكلمات.

كان التفسير الوحيد الذي أمكنها الوصول إليه لسلوكه هو أنه نظراً لقصر الفترة بين الخطوبة والزواج، فإنه يتعمد كبح عواطفه حتى اللحظة التي يستطيع أن يعبر فيها عنها بدون قيود. ولعله يخشى إذا أعرب لها عن حبه أن تفلت مشاعره من زمامها. أو ربما ظن أنه نظراً لصغر سنها وعدم تجربتها سوف ترتعب بسهولة.

وعندما استيقظت جولي صبحية يوم زفافها في منتصف العاشرة، كان العريس وشقيقه روب، شاهده في القران، قد غادرا المنزل. وكانت جولي جاهزة هي الأخرى. ارتدت ثوبها في غرفة تشارلوت. وبينما كانت تفحص نفسها في مرآة طويلة، تذكرت ما ذكره لها سيمون في مصنع السكر يوم طلب الزواج منها.

قال في ذلك الصباح أولا، أنت فتاة جميلة جداً. وبينما كانت تحدق في صورتها قالت لنفسها: أهذا صحيح؟ هل أنا جميلة حقاً؟ إنني في هذا الثوب والزهور البيضاء في شعري اليوم أبدو مختلفة تماماً... جميلة... أوه ياعزيزي سيمون سأبذل كل جهدي لأجعلك سعيداً.

وبعد أن انصرف الجميع إلى كنيسة الابراشية، تركت جولي بمفردها مع جيمس، الذي أعطاها كأساً من الشراب لتهدئة أعصابها. وفي الحادية عشرة إلا خمس دقائق بالضبط وضعها في السيارة بعناية.

وانطلقت بهما إلى الطريق الرئيسي، وابتسم لها فلاحان أسمران في عربة يجرها حمار ولوحا بأيديهما، فردت عليهما، وفجأة أحست أن كل عصبيتها قد اختفت، كانت تشعر ببهجة وسعادة.

وهتفت تقول:

«إنني سعيدة جداً ياجيمس.»

فابتسم وربت على ركبتها وقال:

«تبدين مذهلة؟ وعندما يراك سيمون سيسقط مغشياً عليه.»

وضحكت قائلة:

«ياإلهي، أرجو ألا يحدث ذلك، فستكون كارثة إذا تطلب الأمر إفاقة العريس بالأملاح المنعشة قبل أن تبدأ المراسم.

ومرت بها لحظة سيئة عندما تقدم جيمس ليقودها إلى المذبح، إذ تذكرت أباها وأحست بطعنة حادة من الألم وارتعش فمها وامتلأت عيناها بالعبرات، ولكنها أسرعت بمسحها، ورفعت ذقنها، ثم سارت ببطء ويدها على ذراع جو، وتقدمت في ثقة للأمام نحو المكان الذي ينتظرها فيه سيمون.

ما أسرع مامضت تلك الساعات التي لاتنسى في حياتها، وها هي الآن والناس تتزاحم حولها لابداء إعجابهم بمنظرها الجميل.

وقالت تشارلوت مسرورة وقد جاءت لتصحبها إلى الطابق الأعلى:

«حان الوقت لتغيير ثيابك يا سيدة تيرنان.»

وبينما كانت تشارلوت تساعدها على نزع الاكليل المصنوع من الياسمين الأبيض المعطر، قالت ضاحكة إن سيمون تسلل منذ عشر دقائق. وسمعا طرقاً على الباب فقالت:

«ادخل... ادخل.»

ودخلت جيزيلا الغرفة. كانت ترتدي ثوباً حريرياً، وقبعة سوداء، وقالت برقة:

«هل استطيع الانفراد بجولي بضع لحظات؟»

فقالت تشارلوت وقد تصلبت قليلا:

«ليس هناك وقت. فسيرحلان سريعاً.»

وجلست جيزيلا على مقعد وقالت:

«لن أبقيها طويلا.»

ونظرت تشارلوت إلى جولي نظرة تساؤل... قائلة:

«هل يمكنك تدبير الأمر بنفسك.»

«أجل.»

وغادرت تشارلوت الغرفة.

وقالت جيزيلا بلا مبالاة وهي تشعل سيكارتها:

«كنت عروساً رائعة ياجولي، إلى أين تذهبان لقضاء شهر العسل؟»

«إلى بيكويا لرؤية العمة لو وهرقل.»

ورفعت زوجة أبيها أحد حاجبيها وقالت:

«حسناً. لكل إنسان ذوقه الخاص. أعتقد أنك تتساءلين، لماذا جئت.»

فقالت جولي بهدوء، وهي تخلع ثوب الزفاف.

«لكي تتمني لي حظاً سعيداً... كما هو مفروض.»

«بطبيعة الحال ياحبيبتي، ولكن هناك مسألة صغيرة أخرى، أرى أننا يجب أن نناقشها قبل أن تبدأي حياتك الجديدة.»

وظنت جولي أنه شيء يتعلق بأموال أبيها. فقالت:

«حسناً؟»

«لولا مساعدتي لما كنت في هذا المركز المحظوظ ياعزيزتي.»

«ماذا تعنين؟»

«على المرء أن يواجه الحقائق. إن سيمون لم يطلب زواجك لأنه وقع في حبك، بل لأنني أجبرته على ذلك. وقد رأيت في ذلك طريقة لكي تتمتعي بحياة رغدة طوال حياتك، فأنتهزت الفرصة.»

«جيزيلا، إذا كنت تحاولين تحطيم زفافي.»

«على العكس، إنني آمل أن تكوني سعيدة جداً. فليس هناك سبب يحول دون ذلك. لو لعبت أوراقك بحكمة. قد يكون سيمون طلب زواجك تحت ضغط، ولكن يبدو أنه يتكيف جيداً. إن ترتيب الزيجات أمر شائع تماماً في بعض الدول، والأزواج يتزوجون لأسباب عملية، ثم تنشأ بينهما عاطفة عظيمة بعد ذلك.»

«ما الذي تسعين وراءه؟ وكيف يمكن أن تكوني قد رتبت زواجنا؟»

«هل تذكرين القصة التي نشرت في النيوز والتي ضايقتك كثيراً؟ وتلك الاشارات الموحية عن قضائك أنت و سيمون ليلة بمفردكما في أوراغان؟»

«موحية؟ لا أعرف ماذا تعنين؟»

فابتسمت جيزيلا، وبدا في عينيها الزرقاوين بريق هرة توشك أن تنقض على فريستها، وقالت:

«ربما لم تكن موحية بالضبط فلم تكن الصحيفة تريد المخاطرة بقضية تشهير ضدها، ولكن القصة كانت مفتوحة لاساءة تفسيرها. ولسوء الحظ فإن أغلب الناس يتوقون إلى النظر للأشياء في أسوأ ضوء ممكن يا عزيزتي جولي. وكما اكتشفت أنا بسرعة، فإن سيمون أصبحت له سمعة الفتى العابث، وأنا على ثقة من أنه سيصبح زوجاً نموذجياً اعتباراً من الآن. ولكن يبدو أنه كانت له بعض مغامرات في الماضي... ولا يمكنك لومه حقاً. فهو جذاب، وأعتقد أن نساء كثيرات يلقين بأنفسهن عليه.»

وقالت جولي في غضب:

«إن ماضي سيمون من شأنه، ولا شأن لي به.»

«الرجال يمكنهم الافلات من أي شيء تقريباً، أما سمعة الفتاة فإنها يمكن أن تلوث بسهولة بالغة، ولا يكاد يكون هناك من يعتقد أنك تركت أوراغان سليمة مثلما كنت عندما نزلت هناك.»

واستغرقت جولي بضع ثوان قبل أن تفهم بالضبط ماذا تعني جيزيلا، وعندما فهمت التهب وجهها، وصاحت ثائرة:

«ياله من تلميح يثير الاشمئزاز.»

فقالت جيزيلا بمرح خبيث:

«أوافق على ذلك. وأنا واثقة من أن سيمون قد تصرف بأقصى قدر من الفروسية، غير أنني أخشى أن يفترض أغلب الناس عكس ذلك تماماً. ولهذا أعطيت القصة لصحيفة نيوز ثم اتصلت تليفونياً بسيمون ورتبت أمر هذا الزواج، وكان سهل الانقياد جداً. إذ أدرك فوراً أن سمعتك سوف تسوء، وأن الطريق الوحيد لاصلاح الموقف هو الزواج منك.»

كان وجه جولي شاحباً وأخذت ترتعش قائلة:

«لا أصدق ذلك... فليس هناك إنسان... حتى أنت، يمكن أن يكون بمثل هذه الدناءة. وإذا كان ماتقولين حقيقياً فانك يمكن أن تدخلي السجن... إنه ابتزاز.»

وقالت جيزيلا:

«كنت أخشى أن يكون الأمر صدمة، ولكنك قلت بنفسك إنها معجزة ان يقع في حبك، ألا تذكرين ذلك ياحبيبتي؟ ففي صباح اليوم الذي تركت فيه الفندق قلت لي إنني أحبه... ولكنه أحبني بمعجزةما.»

وقالت جولي لنفسها هذا حقيقي! يا إلهي... إنه حقيقي. ولهذا لم يقبلني ابداً. لقد أجبرته على الزواج مني، إنه لا يحبني على الاطلاق،

وعندما سألته، لماذا أراد الزواج مني لم يقل لأنني أحبك. كيف سمحت لها ياسيمون أن تفعل بك ذلك، بل بنا نحن الاثنين؟

وقالت بصوت أجش:

«لماذا فعلت ذلك؟ ليس لمصلحتي، لاتزعمي أنه كان لمصلحتي.»

اجابت جيزيلا:

«كان من أجلك إلى حد ما، ولكنني أتوقع أن يكون مفيداً لي أنا أيضاً. إنك ترين مدى تبذيري للمال، إنه يتسرب من بين أصابعي مثل الماء، وإذا احتجت إلى بعض المال فإنك تستطيعين مساعدتي. أليس كذلك ياحبيبتي؟ إنني واثقة من أن سيمون لن يكون شحيحاً، وسيكون لديك الكثير الذي يمكنك إعطاءه لأرملة والدك العجوز المسكينة.»

وبينما كانت تطلق ضحكة، فتح الباب الذي خلفها، ودخل سيمون قائلاً:

«هل أنت مستعدة ياجولي؟»

وشاهد جيزيلا، فتجمد وجهه وتحول إلى قناع فولاذي من الكراهية.

هذه النظرة أكدت بصورة قاطعة حقيقة روايتها البشعة.

وقالت جيزيلا في مرح:

«إنها مستعدة ياسيمون، إلى اللقاء ياعزيزتي، تمتعا بشهر عسل سعيد...»

وخرجت من الغرفة.

٧ ـ زواج من زجاج

ووقفت جولي حافية القدمين في ثيابها الداخلية وهي لاتزال تمسك الشريط الحريري في وسط غرفة تشارلوت التي تغمرها أشعة الشمس، بعد أن تحطمت كل أحلامها المشرقة في المستقبل وتحولت إلى أنقاض.

وقال سيمون وهو يغلق الباب:

«آسف، لم أعرف أنك لم ترتدي ثيابك بعد.»

ثم استدار ليواجهها وقال:

«وفي أية حال فإنك زوجتي الآن. كيف تشعرين وأنت متزوجة؟»

وطافت نظراته بجسمها الرشيق ذي اللون الأسمر الذهبي، وقال:

«بشعرك الأشعث وهذه الأشياء الصغيرة التي ترتدينها تبدين مثل جولي فتاة سوليتير. تعالي لحظة ياعزيزتي.»

وقالت لنفسها: لم أكن لأخمن ذلك ابداً. ولم يكن هو ليتركني أعرف. لقد لمحت الحقيقة ليلة أمس، ولكني نفرت منها. لقد صدقت ما أردت أن أصدقه.

وقالت بصوت مرتفع:

«لن أغيب أكثر من خمس دقائق ياسيمون.»

وحملت ثيابها وانسحبت إلى الحمام الملحق بالغرفة، وسمعت صوته

من وراء الباب يقول:
«ماذا كانت جيزيلا تفعل هنا.»
«كانت تقول لي إنها معجبة بثوب زفافي.»
وقالت لنفسها: لابدّ أن أبقى بمفردي بضع دقائق. فلن أستطيع مواجهته حتى أستجمع شتات نفسي.
وأدارت مفتاح الباب بنعومة وقالت:
«تركت ساعتي في الكوخ ياسيمون. أرجوك أن تحضرها لي.»
«أجل... بكل تأكيد.»
وسمعته يغادر الغرفة. عندئذ أحست أنها عليلة. عليلة جسمانياً.
وعندما مرت النوبة. اتجهت نحو الحوض .
وغسلت جولي ماتبقى من آثار أدوات التجميل عن وجهها. وارتدت ملابسها ومشطت شعرها. ثم جلست على حافة الحمام. وحاولت أن تصل إلى قرار بشأن ما يجب أن تفعله.
غاب سيمون منذ ذهب إلى الكوخ حوال عشرين دقيقة. وعندما عاد. كانت جولي تجلس في سيارته الواقفة أمام المنزل وقد احتشد الجميع حولها لوداعها.
وألقى بساعتها في حجرها. ثم استدار ليقبل أمه مودعاً. وانطلقا وسط أوراق الورد التي نثرت عليها.
وكان سيمون في اليوم السابق قد أحضر الزورق سيفيرار من كاريناغ إلى حوض إصلاح القوارب الذي لا يبعد كثيراً عن روز هول. وعندما بلغا مرسى الزورق. أعطى سيمون مفاتيح السيارة إلى العامل المسؤول عن الحوض وهو من أبناء بربادوس. ثم ساعد جولي للصعود. إلى الزورق وقال لها:
«عندي مفاجأة لك. لن نستطيع بلوغ بيكويا قبل الغروب. واسرة هذا

الزورق ليست مصممة لكي يشترك فيها اثنان، ولذلك طلبت من ديفيد بنسون أن يسمح لنا باستخدام بيته على الشاطىء الليلة، وهو في الناحية الأخرى من الساحل الغربي وله خليج صغير خاص. إن آل بنسون يقطنون في بريدغتاون ولا يستخدمونه إلا في عطلات نهاية الأسبوع. ولايحتفظون فيه بأي خدم، وسيكون المكان كله لنا وحدنا.»

فقالت في إشراق:

«يالها من فكرة جيدة.»

ولكنها جبنت في أعماق نفسها!

كانت خلال الاستراحة القصيرة التي قضتها في حمام تشارلوت قد توصلت إلى قرار، وهو أنه ما دام سيمون قد ضحى بحريته لحمايتها في أية فضيحة، فليس أمامها خيار إلا أن تصبح طرفاً في ادعائه بأنه أرادها زوجة له.

وماذا تكسب إذا قالت له إنها عرفت الحقيقة؟ لاشيء، إلا أن تجعل موقفه أكثر صعوبة. وطالما كان يعتقد أنها خدعت فربما يستطيع أن يواصل دوره بدون أن يفقد الكثير من احترامه لذاته. أما إذا عرف أنها تعلم أنه لم يكن يحبها، فكيف يمكنه أن يجبر نفسه على التظاهر بعواطف لايشعر بها؟ إن ذلك قد يؤدي إلى إذلاله إلى حد لايحتمل.

لقد تزوجا. ولاشيء يمكن أن يغير ذلك. وإذا كان لابدّ من إنقاذ أي شيء من الكارثة المفاجئة التي دبرتها جيزيلا لها، فإن عليها أن تقوم بدورها جيداً كما فعل هو.

أملها الوحيد الآن، هو أن يحس سيمون في يوم ما أنه لم يفعل شيئاً سيئاً جداً.

وبينما كان الزورق البحري ينطلق بعيداً عن الرصيف، قالت

لنفسها إن الأمر لن يكون سهلا.

بلغت الساعة الخامسة عندما وصلا إلى بيت الشاطىء الذي يمتلكه آل بنسون، وهناك أعدت جولي الشاي وشرباه معاً في الشرفة الخارجية.

ثم سبحا في البحر، فانطلقا يعدوان ويطفوان، ويغوصان لمدة نصف ساعة، ثم رقدا على الرمال لتجفيف نفسيهما. كان هو يرقد على ظهره، وهي على وجهها وقد أشاحت بوجهها بعيداً عنه. فقال لها بهدوء:

«جولي؟»

«ماذا؟»

«ظننتك استغرقت في النوم.»

«كلا. إنني مستيقظة.»

«عندما جئت إلى غرفة تشارلوت وأنت تبدلين ثيابك اندفعت كأرنب مذعور، فهل كنت خائفة مني؟»

«خائفة منك؟ كيف أخاف منك، إنك زوجي.»

«هذا ما كنت أعنيه.»

وأغمضت عينيها لحظة وهي تهدىء أعصابها، ثم رفعت نفسها على مرفقيها واستدارت لتنظر إليه، وقالت:

«كلا. إنني لا أخاف منك ياسيمون.»

كان يرقد قريباً جداً منها، فرفع يده ووضعها على كتفها وقال:

«كنت خجولة فقط أليس كذلك؟»

«أجل، قليلا. وأعتقد أنني سأتغلب على ذلك.»

«كان الأمر كله أشبه بدوامة بالنسبة لك. إنني أدرك ذلك... أما الآن فيمكنك أن تأخذي الأمور ببساطة. استرخي واستريحي...»

وقالت لنفسها استرخي! يالها من سخرية.

ثم تابعت:
«المكان هنا جميل، مثل سوليتير... هل أنت جائع؟ حتى أحضر العشاء.»
«كل شيء جاهز في الثلاجة. لقد ملأتها أمس. ولن تضطري لطهو أي شيء، ولكنني لست جائعاً. هل أنت جائعة؟»
«كلا ،كلا. أكلت كثيراً في حفل الاستقبال.»
وشدد ضغط أصابعه على كتفيها وقال:
«قبليني ياجولي.»
ها هي اللحظة حلت. هذا هو الاختبار الأول. وسيتوقف الكثير على الطريقة التي تتحكم بها في نفسها.
وانتقلت لتكون أكثر قرباً منه، وانحنت على وجهه مغمضة العينين كانت شفتاه حارتين وبهما مذاق طفيف من معجون الأسنان. كان الأمر في البداية طيباً، ولم يتحرك أو يستجب، بل اكتفى بتركها تقبله قبلة خفيفة، ثم على وجنته السمراء الصلبة.
ولكن عندما طوقها بذراعيه، وعرفت أنه سيقبلها لم تستطع أن تمنع شعوراً حارقاً مؤلماً في داخلها.
وخلصت نفسها من بين يديه بسرعة ووثبت على قدميها وقالت محتجة وهي تحاول أن تضحك:
«ليس هنا. قد يرانا البعض.»
ونهض هو ببطء أكثر ومد يده إليها مبتسماً وهو يقول:
«من الذي يرانا؟ ليس هناك أحد على مسافة أميال من هنا. إنني لست جائعاً ولكنني أستطيع أن أشرب كأساً مثلجا.»
وبينما كان سيمون يعد بعض المشروبات في المنزل، ذهبت جولي إلى غرفة النوم حيث ارتدت قميصاً قطنياً قصيراً وردي اللون. ونظرت إلى السرير المزدوج، ثم أشاحت بوجهها بسرعة.

لو أنها استطاعت فقط أن تزعم لنفسها أنها لاتعرف، أو أمكنها محو حديث جيزيلا من ذاكرتها!

وعندما عادت إلى غرفة الجلوس كان سيمون يتصفح مجموعة من الاسطوانات ثم وضع واحدة منها على الجهاز وأدارها وهو يقول لها:

«هذه موسيقى من عرض قديم لقصة الحي الغربي.»

وخرجا إلى الشرفة مرة أخرى، وجلسا يحتسيان كأسيهما ويرقبان الأمواج المتدفقة، وكانت إحدى الأغنيات على الاسطوانة اسمها الليلة. فأخذت الكلمة تتكرر مرة بعد أخرى بدون أن تنتهي. وكانت جولي تعرف أن سيمون يرقبها، بينما أخذ وجهها يزداد احمراراً. فقالت في صوت مرتفع:

«يجب عليّ أن أتعلم الرقص.»

«إنه سهل جداً، وسوف أريك.»

وأمسك يديها وجذبها على قدميها وقال:

«عادة لاتكون هناك مساحة كافية لكي يفعل المرء أي شيء بارع. فالناس يتحركون ببطء فقط في ثبات... مثل هذا.»

وضمها إلى صدره وأخذا يدوران في أرجاء الشرفة فقالت:

«إنني قصيرة جداً بالنسبة إليك.»

«يجب أن تعتادي حذاء عالي الكعب، وأعتقد أنك ستكونين مناسبة تماماً.»

وفجأة تركها وانطلق إلى المطبخ قائلا:

«هيا نأكل الآن.»

وبينما كانا يتناولان الطعام، أخذ سيمون يتحدث عن تاريخ صناعة السكر، والأنواع المختلفة من الشراب التي تنتج في أجزاء

مختلفة من جزر الهند الغربية.

وقالت جولي لنفسها إنه يعتقد أن الخجل شل حركتي، وهو يحاول أن يهدىء أعصابي.

احبته كثيراً لتفهمه وحنانه، حتى أنها أحست باسترخاء برهة من الزمن، ولكنها عرفت أنه ما أن يلمسها أو يحاول تقبيلها، حتى تنكمش وتتراجع في داخلها. إن الأمر مختلف بالنسبة للرجال... ففي إمكانهم أن يظهروا الحب بدون أن يكونوا محبين فعلا. وقد علمت ذلك من الكتب التي قرأتها، أما بالنسبة للنساء، أو أغلبهن في أية حال، فإن القلب والعقل والأحاسيس كلها لايمكن الفصل بينها. ولا يمكن أن تكون هناك علاقة نصف...نصف...

كانت تتوق إلى الاستسلام له بقدر ما تشعر من حب نحوه، غير أن علمها أنه لا يحبها جعلها تنفر من العذاب الحلو المرير لوجودها بين ذراعيه

وعقب العشاء غسلت الأطباق وجففها سيمون، ثم أشعل سيكاراً ووضع اسطوانة أخرى على الجهاز وعاد إلى الشرفة، بينما بقيت جولي في المطبخ لاعادة ترتيب الأطباق والسكاكين التي تركها سيمون على المائدة.

وعندما لحقت به، كان البحر يتألق في ضوء القمر، ونسيم عليل يهز سعف أشجار النخيل الباسقة.

ولا بدّ أنه قد مرت خمس عشرة دقيقة قبل أن ينتهي سيمون من تدخين سيكاره، وأخيراً سألها:

«هل أنت متعبة؟»

جاء صوته بعد دقائق طويلة من الصمت مفاجئاً، حتى أنها وثبت واقفة وقالت:

«لقد أفزعتني، كانت أفكاري سارحة بعيداً جداً.»

«أين كانت؟»

«ليس في مكان ما، ما هذه الموسيقى؟»

وأحاط سيمون كتفيها بذراعه الأيسر وقال:

«الجمال النائم لتشايكوفسكي، إنها موسيقى باليه، أتحبينها؟»

وازداد قرباً منها وجذبها نحوه.

وتحاملت جولي على نفسها لكي تريح رأسها على كتفه وقالت:

«أجل، إنني لم أشاهد أي باليه ابداً، أعتقد أنك شاهدته.»

«كوفنت غاردن بلندن... وربما ذهبنا إلى هناك يوماً ما. إن رائحة شعرك جميلة.»

كانت لأول مرة في حياتها تضع طاقية سباحة على رأسها في الماء حتى لاتفسد تسريحتها وقالت:

«إنه العطر الفرنسي الذي أعطتني إياه أمك. الرياح الخضراء»

«إنني أحبه.»

وأمسك يدها اليسرى وفرك بها وجنته وقال:

«يستحسن أن أحلق ذقني.»

فقالت بدون تفكير:

«هل تفعل ذلك ليلاً؟ أعتقد أنك حلقت ذقنك في الصباح.»

قال وهو يضحك:

«العزاب يحلقونها في الصباح. والأزواج في الليل.»

وبدأت ترتعش كأنما تشعر بالبرد، كان شيئاً لايمكنها التحكم فيه. وكلما حاولت إيقافه زاد سوءا.

ورفع ذقنها إلى أعلى وأجبرها على أن تلتقي عيناها بعينه، وقال:

«هذا شيء سخيف، إنك خائفة جداً. ليس هناك ما تخشينه ياجولي.»

فقالت متلعثمة وكادت دموعها تتساقط:
«أعرف، أعرف أنه ليس هناك شيء، ولكنه رغماً عني.»
فنهض واقفاً وأوقفها معه وقال:
«إنك مرهقة جداً. هذا كل شيء، كانت الأسابيع الماضية وقتاً عصيباً جداً بالنسبة لك، وهذا هو رد الفعل. ليس هناك ما يثير القلق، اذهبي إلى الفراش، واستغرقي في النوم ياحبيبتي، وستشعرين في الصباح أنك أصبحت فتاة أخرى. وسأذهب للسباحة قليلا، ولن أزعجك عند عودتي.»
ثم طبع قبلة على قمة رأسها وقال:
«غداً يوم آخر، احكمي الغطاء حولك واستغرقي في النوم!»
عندما استيقظت في الصباح التالي كانت الساعة قد بلغت التاسعة ولكنها لم تسمع أي صوت يدل على تنقل سيمون في المكان، كما أنه لم يكن على الشاطىء، أو في البحر، واغتسلت جولي وارتدت ثيابها، ثم سارت على أطراف أصابعها عبر الشرفة وفتحت باب غرفة النوم الثانية بخفة.
كان راقداً على ظهره، وقد أحاط الوسادة بأحد ذراعيه،
ومرت ساعة أخرى قبل أن ينهض، كانت كافية لتقرر ما يجب أن تفعله. كانت في الليلة الماضية مرتبكة، أما هذا الصباح فهي هادئة، صافية الذهن، وفي امكانها أن ترى الموقف بتعقل وليس من خلال عدسات العاطفة المشوشة.
وعندما جاء إلى غرفة الطعام قالت بهدوء:
«صباح الخير.»
«طاب صباحك، منذ متى وأنت مستيقظة؟»
«منذ حوال ساعة ونصف ساعة.»

«كان ينبغي أن تهزيني، إذ يجب ألا نتأخر في الانطلاق نحو بيكويا.»
«لقد فكرت في ذلك حقاً، ولكنك كنت مستغرقاً في نوم عميق.»
«وكيف نمت أنت؟»
«جيداً، شكراً لك.»

وبينما كانا يتناولان إفطارهما تبادلا حديثاً مؤدباً عادياً، كأي غريبين يشتركان في مائدة واحدة في فندق.

وبينما كانت تصب له قدحاً آخر من القهوة قالت:
«سيمون، بشأن الليلة الماضية.»

ولكنه لم يدعها تتم الكلمة التي أعدتها بعناية لالقائها على مسمعه، إذ قال:
«أنت لست مضطرة للشرح أو الاعتذار ياجولي، انظري، لو أنني عشت حتى سن السبعين، فإننا سنقضي معاً حوال خمسة وعشرين ألف يوم وليلة، فلدينا الكثير من الوقت ياحبيبتي، انسي كل شيء عن ليلة أمس، كنت متعبة جداً وانا متفهم.»

فقالت بصوت منخفض:
«ولكنك لم تكن كذلك ياسيمون. ولقد وددت لو كان الأمر مجرد تعب، ولكنه كان، أكثر سوءا من ذلك، لقد فعلت شيئاً رهيباً، يجب أن تصغي إليّ، دعني أشرح الأمر.»

فسألها في سخرية:
«شيء رهيب؟ ماذا يمكنك أن تفعلي من الأشياء الرهيبة؟»
«لقد تزوجتك في فزع، لم يكن في استطاعتي احتمال جيزيلا، وكنت أعرف أنني لن أستطيع تدبير أموري بنفسي. وقد عرضت عليّ فرصة العيش في روزهول مع أمك و تشارلوت والأطفال، فلم أستطع أن أقاوم. لقد حدث كل شيء بسرعة، ولم يكن هناك وقت للتفكير، ثم

أدركت أمس، بعد الزفاف، ما فعلته و ياله من شيء رهيب هذا الذي فعلته.»

وتوقفت لحظة لعقت فيها شفتيها الجافتين ومضت تقول:

«أنت ترى أنني لم أستطع التحمل عندما لمستني، إنني أحس بضعف في أعماقي.»

كان شيئاً قاسياً جداً ماقالتـه له، ولكنهـا قررت أنهـا الطريقـة الوحيدة لأنهاء هذا الحفل التنكري. فلو ذكرت له أنها تعرف الحقيقة لأنكرها، وإذا كان قد قدم مثل هذه التضحية لها ، فكيف يمكنها أن تعيدها اليه؟ كيف يتسنى لها أن تقول له كان يجب ألا تتزوجني وأنت تعرف أنك لاتحبني.

كلا، الطريقة الوحيدة هي أن تلقي باللوم على نفسها، وإذا أمكنها أن تجعله يصدق أن رزهول وأسرته هما اللذان أغرياها على أن تقبل طلبه، فلن يمضي وقت طويل حتى يشعر بالسعادة لأنه تخلص منها!

وقال سيمون بعد سكوت طويل:

«فهمت..»

لم تستطع أن تعرف فيم يفكر، كانت قسمات وجهه لغزاً غامضاً، كما كانت خلال مقابلاتهما الأولى في سوليتير.

ومال إلى الوراء في مقعده، ثم قال:

«تقولين إنك لم تبحثي فيما كان يتضمنه ذلك الأمر، هل أنت واثقة تماماً من إدراك كل الحقائق؟ إن الفتيات تكون لديهن أحياناً أفكار غريبة، وإني أجرؤ على القول بأن والدك لم يكن مريحاً جداً معك، ليس هناك شيء يخيفك ياجولي، ألا يمكنك أن تثقي بي؟»

ولما لم تجب على الفور، استطرد يقول:

«إن بعض الناس يخاف البحر، فهم يعتقدون أنه مليء بأسماك القرش

والأشعة اللاذعة والتيارات الخطيرة، وهم لايعرفون ماذا يفقدون. ولكنهم لو تذرعوا فقط بالشجاعة للانطلاق واستكشاف الصخور المرجانية لاكتشفوا عالماً جديداً وبعد ذلك سوف يتساءلون... لماذا كانوا خائفين؟»

فاعترضت حديثه قائلة:

«كلا... الأمر ليس كذلك ياسيمون، إنني لست خائفة من رعب خيالي، إنني أعرف إن الزواج شيء رائع، للأشخاص المناسبين، ولكن ليس لنا... ليس لي ولك.»

فسألها في جفاف:

«وماذا تقترحين أن نفعل؟ إن الزواج ليس كقبعة جديدة، يمكنك إعادتها إلى المتجر واستبدالها بأخرى إذا وجدت أنها لاتناسبك...»

فتمتمت في تعاسة:

«لايمكننا الاستمرار ولدّي هذا الشعور، يجب أن أبتعد ياسيمون، لقد فكرت في الأمر طويلا، وسأدفع ثمن سفري إلى انكلترا، ويمكنني أن أتدرب للعمل كممرضة وتشارلي لها ابنة عم تعمل ممرضة، وهناك نقص في الممرضات في انكلترا، وهن يعشن في بيوت خاصة بهن.»

فقاطعها فجأة قائلا:

«هراء. إن التمريض مهنة، وليس مكاناً تهرب فيه العرائس العصبيات. إنك زوجتي، وستبقين زوجتي، وفي الأسبوع المقبل سوف تضحكين مما حدث اليوم، صدقيني ياجولي، والآن هيا بنا وإلا فلن نصل إلى بيكويا الليلة.»

وذهب إلى المطبخ ليحضر صينية، وعندما عاد قال لها:

«أما بالنسبة لليلة، فلا حاجة بك لتمضية النهار كله في الخوف من غروب الشمس. وكما قلت لك ليلة أمس إنه من الطبيعي بعد الوقت

العصيب الذي مر بك أن تكون أعصابك مضطربة. ومن ثم سنكون مجرد شخصين يقضيان العطلة معاً إلى أن تستعيدي هدوء أعصابك، اتفقنا؟»

وعبث بشعرها، ثم بدأ يرفع الأطباق عن المائدة.

ألقى الزورق سيفيرار مراسيه تجاه بيكويا ثماني ليال، بينما قام سيمون بعمل ترتيبات مع أحد مقاولي البناء في سان فنسانت لبناء بيت من الحجر المرجاني في جزيرة سوليتير، واشترى قارباً جديداً لهرقل.

ولم تذهب جولي معه إلى سان فنسانت أو إلى بيتها السابق، بل أبقاها مع العمة لو والأطفال، بينما ظل هو وهرقل يتنقلان بين الجزر الثلاث.

حزنت العمة لو حزناً شديداً لنبأ وفاة جوناثان تمبل، بيد أن حزنها خففه فرحها بزواج جولي، وفي صباحها الأخير في بيكويا، وبينما كانت ترتب فراشها في الزورق، وجدت كيساً قطنياً صغيراً في حجم علبة الثقاب حشر تحت حشية الفراش.

ولم تكن تعرف ماذا يحوي بالضبط، ولكنها كانت تعرف الغرض منه، وكيف وضع هناك. ووضعته في جيب بنطلونها القصير لكي تلقيه في البحر عندما تصعد إلى السطح، ولكنها وهي تعد الافطار نسيته.

ورآه سيمون ملقى على أرضية المقصورة بعد أن انهيا من إفطارهما، فالتقطه وأخذ يتفحصه وقال:

«ما هذا بحق الشيطان؟»

فاختطفته جولي من يده ودسته ثانية في جيبها وهي تقول:

«لاشيء.»

ويبدو أنه سقط عندما أخرجت منديلها لمسح بعض العصير الذي

انسكب على ملابسها.

وقال سيمون بجفاف:

«أعتقد أنه نوع من التعاويذ. إنك بالتأكيد لاتؤمنين بالسحر؟»

فقالت في ارتباك شديد:

«كلا بطبيعة الحال. إنه خاص بالعمة لو.»

«وكيف جاء إلى الزورق؟»

«إذا كان لا بدّ أن تعرف، فقد وجدته تحت حشية الفراش، وأعتقد أنها جعلت توسان أو بنجي يسبحان ويخفيانه هناك. إنه تعويذة للحظ الحسن.»

«كنت أعتقد أن العمة لو كاثوليكية.»

«أجل، انها كذلك، ولكن هذا لم يمنعها من إشباع رغبتها في بعض السحر الأبيض الذي لاضرر منه. ولعل هذا السحر يتعلق بسلامة رحلة العودة إلى بربادوس.»

«أو للتأكد من أن طفلنا الأول سيكون ولداً!»

واحمر وجه جولي بشدة، وقالت في لهجة قنوط:

«سيمون. لايمكن أن نستمر هكذا، ولا فائدة من القول بأنني لاأزال في حاجة إلى مزيد من الراحة. إنني لست مصابة بمرض عصبي وأنت بكل هذا الحنان، ولكن الحمل لايمكن أن يغير أي شيء بل إنه سيجعلني أشعر بمزيد من الحقارة. دعني أذهب، لن أستطيع العودة معك إلى بربادوس.»

فقال بهدوء:

«حتى إذا كنت أريد، وهو مالا أريده، فكيف يمكنني أن أتركك تذهبين؟ ليس لك مكان تذهبين إليه. إنك في حاجة إليّ ياجولي.»

«ولكني لا أستطيع أن أعطيك شيئاً. لن أستطيع.»

ثم توقفت، وأدارت ظهرها نحوه.

ووضع يده على كتفها بخفة. كانت أول مرة يلمسها منذ ليلة زفافهما.

وقال بصوت مازال يحتفظ بهدوئه:

«استمعي إليّ. لقد حزمت رأيي، ولن يستطيع أي شيء تقولينه أن يغيره. سوف نستمر كما نحن خلال الأشهر الستة المقبلة. وإذا كنت في نهاية تلك المدة لاتزالين راغبة في تركي، فسوف أقوم حينئذ بالترتيبات المناسبة. إن الزواج يمكن الغاؤه، ويمكنك الذهاب إلى حيث تشائين وبدء حياة جديدة. ويومئذ ستكونين أكثر قدرة على تدبير أمورك بنفسك.»

فقالت :

«يلغى؟ ماذا يعني ذلك؟»

فأدارها سيمون لتواجهه وقال:

«يعني أنه إذا كانت علاقتنا ستظل كما هي الآن، فإن زواجنا يمكن اعتباره باطلا وغير ملزم، ويمكنك التأكد من شيء واحد ياجولي، وهو أنني سوف أتصرف أمام الناس الآخرين كأي زوج عادي، ولكن علاقتنا الخاصة ستبقى كما هي الآن، وما لم تظهري بوضوح أن مشاعرك قد تغيرت فإنني لن أقترب منك.»

وأنزل يديه عنها، وصعد إلى سطح الزورق.

في الوقت الذي انقضى فيه ستة أسابيع على زواج جولي، كان أبناء أسرة تيرنان الصبيان قد عادوا للمدرسة، وإيمّا رجعت إلى نيويورك وبدت مظاهر الحمل على تشارلوت.

اما جو فتطوع لتعليم جولي قيادة السيارة، وقد أظهرت براعة في ذلك، حتى أنه بعد اثني عشر درساً قال إنها على استعداد للاختبار.

وفي اليوم التالي لنجاحها في الاختبار إشترى لها سيمون سيارة حمراء صغيرة.

وذات صباح، كانت تتناول القهوة بمفردها في محل غودارد بشارع بوند ستريت وتتصفح إحدى مجلات الأزياء عندما سمعت صوتاً يقول:

«صباح الخير سيدة تيرنان.»

وتصلبت جولي في جلستها، ورفعت بصرها وقالت ببرود.

«أهلا، جيزيلا.»

ووضعت زوجة أبيها عدداً من اللفافات فوق مقعد خال وجلست على آخر وهي تقول:

«هل تسمحين لي بالجلوس معك؟ مضى وقت طويل لم أرك فيه، لقد تغيرت يا عزيزتي حتى كدت لا أعرفك. أصبحت أنيقة جداً.»

ووضعت المجلة من يدها جانباً وقالت:

«أخشى أنني مضطرة للانصراف بعد لحظة، كيف حالك ياجيزيلا؟ ألا تزالين في فندق كاليبسو ريف؟»

«أجل في الوقت الراهن، هل ستقابلين زوجك؟»

وفهمت جولي أن هذه إشارة إلى أنها تريد أن يدفع لها فاتورتها فقالت:

«كلا، إن سيمون في نيويورك لمدة يوم أو يومين.»

«تاركاً عروسه وراءه؟ يالها من قلة ذوق منه.»

«إنها مجرد رحلة عمل قصيرة، ولم أكن أريد الذهاب معه.»

ودفعت جولي فاتورة حساب قهوتها ونهضت قائلة:

«بهذه المناسبة ياجيزيلا، أتذكرين أنك أعربت عن أملك في أنني قد أساعدك إذا واجهت أية مشكلة تتعلق بالنقود؟ حسناً أعتقد أنه يجدر

بي قبل أن تصلي إلى هذه المرحلة أن أحذرك من الاعتماد على مساعدتي إذا أنفقت أكثر مما لديك. والواقع أنني أقتبس عبارتك نفسها وهي لن تحصلي مني على مليم واحد، وداعاً.»

وأكملت جولي بعد ذلك بعض المهام الخاصة بالأسرة ثم عادت بالسيارة إلى رزو هول وكان الجناح الرئيسي الذي تشغله هي وسيمون الآن يتكون من غرفة نوم كبيرة بها حمام وغرفة للثياب، وأخرى للجلوس تطل على المروج وأشجار الحديقة.

كان سيمون ينام على فراش في غرفة الملابس، ويبدو أنه كان بها دائماً فراش لاستخدامه عندما تكون آن تيرنان أو زوجها في حالة مرض.

تساءلت جولي عما إذا كانت حماتها تعرف أنها و سيمون ينامان بعيدين خلال الليل الا ان سلوكها حيال جولي حاراً وكريماً كما كانت قبل الزفاف.

وكان سيمون وفياً لوعده منذ عودتهما من بيكويا، حيث ظل يقوم بدور جيكل وهايد الذي رسمه لنفسه، ففي الطابق الأسفل كان يبدو ودوداً محباً كأي زوج عادي أمام الأشخاص الآخرين وما أن يغلق بابهما في الطابق الأعلى حتى يلقي لجولي بتحية المساء ويختفي في غرفة الملابس.

كان آل تيرنان قد انتهوا من العشاء عند ما عاد سيمون من زيارته لنيويورك، وعندما سمعوا صوت سيارة تقف أمام المنزل قالت آن:

«لا بدّ أنه سيمون.»

فنهضت جولي وذهبت إلى القاعة للقائه وقالت له:

«أهلا بك ياسيمون... هل كانت رحلتك موفقة؟»

وضع سيمون ذراعه حول كتفي جولي وطبع قبلة على خدها وهو يقول:

«أهلا حبيبتي، هل أحسست بوحشة في غيابي؟»

فقالت بابتسامة تدربت عليها:

«بلا شك.»

وقالت لنفسها بسخرية: لقد عاد العريس المحب إلى عروسه العاشقة... كم نجحنا في إداء دورينا!

ثم استدار وأخذ يحدث شقيقه روب عن العمل الذي كان يقوم به في نيويورك.

وأحضر سام القهوة، بينما جلست النساء تناقشن الحفل الراقص الذي سيقام في المساء التالي، للاحتفال بالعيد الحادي والعشرين لميلاد أقرب صديقات ابنة السيدة تيرنان، وسألت حماة جولي عما إذا كانت تفضل عدم الذهاب إلى الحفلات الراقصة، ولكن جولي كانت تشعر بثقة أن سيمون يود حضور الحفل نظراً لأنه كان يعرف الفتاة المحتفل بها طوال حياته، وهو لن يستطيع الذهاب بدون جولي.

وقال سيمون:

«سآوي إلى الفراش مبكراً، فقد كانت الرحلة مرهقة جداً، هل ستأتين ياجولي؟»

فقالت وهي تبتسم للآخرين وتتبعه نحو الباب:

«أجل، أتمنى ليلة سعيدة لكم جميعاً.»

وعندما صعدا إلى الطابق الأعلى ، توجه هو إلى غرفة الملابس بدون أن يلقي إليها تحية المساء السريعة المعتادة، وترك الباب مفتوحاً قليلا، وفتحت جولي النافذة وهي تسائل نفسها عن سبب تغييره عادته التي لاتتغير.

وبعد بضع دقائق، عاد إلى غرفة النوم وقال:

«لقد ابتعت شيئاً من نيويورك، شيئاً كنت تقولين انه لا يوجد.»

وأخرج من وراء ظهره صورة صغيرة. ونظرت إليها لحظات، وتذكرت أن والدها كان قد رسمها، في صباح يوم صيف حار منذ سنوات وهي في حوال الثانية عشرة. وقد نسيت وجود الصورة وسألته:

«أين وجدتها؟»

«في معرض للتحف الفنية، وكانت قد وصلت إليه للتو، إن الكثير من أعمال أبيك الفنية يعاد بيعها الآن.»

«ولماذا اشتريتها؟»

فألقاها على مائدة الزينة واستدار ليتركها قائلا:

«ظننت أنك قد تحبين الحصول عليها، طاب مساؤك.»

«سيمون.»

فتوقف قائلا:

«نعم؟»

«وددت لو أنك لم تتعب نفسك من أجلي.»

وأشارت إلى اللوحة وقالت:

«لابد أنها كلفتك الكثير.»

«إنك زوجتي... ومن الطبيعي أن يشتري الزوج هدايا لزوجته بين حين وآخر.»

ولكن البريق المفاجىء في عينيه جعلها تنكمش... وسألها بخشونة:

«هل تتصورين أنني أحاول شراءك؟»

«كلا...كلا بطبيعة الحال... كنت أعني فقط»

فقاطعها بفظاظة قائلا:

«إنني متعب، طاب مساؤك ياجولي.»

عندما صعدت جولي لترتدي ثيابها استعداداً للحفل الراقص، في مساء اليوم التالي سمعت سيمون عند حضوره بينما كانت تضع بعض المسحوق على وجهها، وقالت له من خلال الباب.

«لقد أوشكت على الانتهاء.»

وكان الآخرون في القاعة عندما هبطت الدرجات المنحنية وحفيف ثوبها يتقدمها.

وبينما كان موكب سيارات الأسرة ينطلق تحت أضواء نجوم الليل المنعش، وجدت جولي نفسها في حالة معنوية لم تعرفها من قبل، فإذا كان سيمون يريد أن ينجح زواجهما، فلماذا لا يفعل شيئاً إيجابياً بشأنه؟ إن سلوكه معها نبيل جداً، وهو يضبط نفسه بصورة رائعة، ولكنها بدأت تشعر بأنه لايحبها، بل فقد كل اهتمام بها.

قال لها في آخر صباح لهما في بيكويا إن أية إيماءات للمصالحة في المستقبل يجب أن تأتي منها.

ترى أي نوع من الايماءات يتوقعه منها؟ إنه ليس فتى غرا، بل هو رجل محنك ولا شك أنه يعرف الكثير عن النساء ليدرك أنها لم ترتد مثل هذا الثوب لكي ترضي نفسها أو للتنافس مع الفتيات الأخريات لقد ابتكرت هذا الثوب من أجله، ومن أجله قضت أسابيع في محاولة صقل نفسها وتهذيبها.

فلماذا إذا كان يريد لزواجهما البقاء؟ لم يحاول لمسها ابداً. وكان قوياً تماماً في مسائل أخرى، فلماذا لايكون كذلك معها؟

كانت تيسا يوستيس التي يحتفل بعيد ميلادها فتاة سمراء مرحة، ذات وجه مستدير، ترتدي ثوباً وردياً رقيقاً، لم تكن جميلة، ولكن تشارلوت ذكرت لجولي أنها لطيفة جداً، وأن لها الكثير من الأصدقاء الشبان رغم أنها ذات مظهر عادي، بل وأقرب إلى البدانة.

وقال جيمس لسيمون بعد أن دخلت جماعة أسرة تيرنان غرفة الجلوس التي تحولت إلى قاعة للرقص في ذلك المساء:
«حيث أنني كنت معلمها، فأعتقد أن لي الحق في المطالبة بالرقصة الأولى مع جولي.»
فقال أخوه موافقاً بسرور:
«بكل تأكيد.»
وأخذ جيمس جولي بين ذراعيه ودفعها نحو حلبة الرقص وقال وهما يدوران في أنحائها:
«إذا كنت لم تلاحظي، فإن كثيرين ينظرون إليّ بحسد، إنك حقا مذهلة الليلة ياجولي، ولك أكثر العيون التي رأيتها بين الفتيات زرقة.»
وابتسمت وشكرته، بينما كانت ترقب سيمون من فوق كتفه، وكان يرقص مع أمه، وتذكرت أخر مرة ضمها فيها بين ذراعيه في شرفة بيت آل بنسون على الشاطىء ليلة زفافها.
ولم يطلب سيمون مراقصتها إلا بعد حوال ساعة وقال وهو يأخذ بيدها:
«هل تتمتعين بالحفل؟»
«أجل.... إلى حد بعيد.»
ولكنها كانت تحس بجرح لكرامتها لأنه لم يأت إليها إلا بعد كل هذا الوقت.
وكان هناك حوال مائتي شخص في المرقص، ولعل أحداً آخر لم يلاحظ أن سيمون تيرنان رقص مع سبع سيدات أخريات قبل عروسه، ولكن جولي لاحظت ذلك، وأحست أنه كان يهملها عن عمد.
وقال سيمون وهي تتابع حركاته ودوراته في رقصة الفالس

بسهولة:
«لا بدّ أن جيمس مدرس جيد تماماً.»
«أجل... إنه كذلك.»
«آسف، إذا كانت صحبتي تضع قيوداً على تحركك، ولكن يمكنك أن تحاولي التظاهر بأنك تتمتعين بالرقص معي.»
وأحست بروح من التهور تلتهب في أعماقها، ولاحظت أن بعض الفتيات يرقصن وقد وضعن أذرعهن حول أعناق شركائهن في الرقص، فوضعت ذراعها حول عنق سيمون، وازدادت التصاقاً به. وأمالت رأسها لكي تنظر في عينيه.
كانت البسمة الاستفزازية التي وجهتها إليه من بين الاشياء التي تعلمتها من جيزيلا.
وسألته وهي ترمقه من بين رموشها:
«أهذا أفضل؟»
فقال في لهجة متوترة بصوت منخفض:
«لاتكوني حمقاء ياجولي، هناك أناس ينظرون إلينا.»
«سيظنون أننا زوجان مثاليان، لاتبد بهذه الضراوة ياسيمون، لأنك ستحبط اللعبة، يجب أن تهمس أية كلمات حلوة لامعنى لها في أذني... ياحبيبي!»
وقالت الكلمة الأخيرة بصوت عال.
واستطاع أن يسيطر على تعبيرات وجهه، ولكن قبضته على يدها كانت أشبه بكماشة.
ومضت جولي تقول في تهور:
«جيمس يقول إن لي أكثر العيون التي رآها زرقة، وهو أكثر غزلا منك، أتظن أنني أبدو مذهلة ياسيمون؟ أم أنك لم تلاحظ حقا كيف

أبدو؟»

فقال بلطف وإن بدا في عينيه بريق جعلها تمسك أنفاسها لحظة:

«هل تتحشمين، أم يجب أن أبعدك عن حلبة الرقص؟»

وكان الحفل الراقص قد أوشك على الانتهاء فأجابته:

«إنني محتشمة، وكنت أريد أن أبدو عروساً حالمة، وأعتقد أنني أديت الدور جيداً.»

وتوقفت الموسيقى، فأنزل ذراعيه عن خصرها، ولكنه لم يترك يدها اليمنى، بل ظل يمسكها بشدة مؤلمة وقال:

«إنك لم تشاهدي الحديقة بعد، إن لدى السيدة يوستيس بعض الشجيرات النادرة التي أثق أنها سوف تحظى باهتامك.»

ودفعها نحو الباب لتخرج معه إلى الحديقة. وبعد أن ابتعدا عن المنزل، أطلق يدها وقال في صوت شديد البرودة:

«لو فعلت ذلك مرة أخرى، فسوف تندمين.»

وفركت جولي يدها المخدوشة وقالت:

«كنت أقوم بالدور الذي رسمته لي.»

«لست غبياً، لاتحاولي هذه اللعبة معي ياجولي، إلا إذا كنت على استعداد لتحمل العواقب.»

فابتعدت عنه، لكي تجلس على سور يحيط ببركة لزهور الزنبق، وسألته:

«أية عواقب؟»

فقال بنغمة قوية:

«أعتقد أنك تعرفين ماذا أعني، فهناك حدود لسيطرتي على نفسي.»

فقالت بحماسة:

«وهناك حدود لسيطرتي أيضاً ياسيمون، لقد سئمت هذه المهزلة، ما

فائدة الاستمرار فيها أربعة شهور أخرى؟ إنني أكره هذا، تلك الحياة المزدوجة وهذا الخداع الذي لامبرر له، إنك في المصنع أغلب اليوم، ولكنني مضطرة إلى الاستمرار في الخداع أمام أمك وتشارلي... كفى، لقد نفد صبري، وليس لك أي حق في إجباري.»

ولم تكمل جملتها، فقد اندفع نحوها في خطوتين، ورفعها بخشونة من حافة البركة وقال في صوت أجش:

«لاتحدثيني عن حقوقي، فقد أجد مايغريني على استخدامها.»

فقالت وهي تناضل لتحرير يدها من يده:

«دعني...»

ولكنه أمسكها بقوة وضمها إليه، ودفع رأسها للوراء قائلا:

«ولماذا أتركك؟ إنك عروسي الحالمة... أتذكرين ذلك؟»

وضحك ضحكة قصيرة خشنة وقال:

«لقد تزوجنا منذ ستة أسابيع، ولم أقبلك ابداً... حسناً، سوف أفعل ذلك الآن.»

فقالت متوسلة في صوت يرتعش:

«كلا... أرجوك... ليس هكذا.»

ولكنه لم يستمع اليها...

وعندما تركها تذهب، كانت تترنح وأوشكت أن تتعثر وتسقط لولا أن أمسكها من ذراعها مرة أخرى...

وفتحت عينيها وهي تشعر بذهول، لاتكاد تدري أين هي!

وقال سيمون بصوت أجش:

«يجب أن يكون هذا درساً لك لكي لاتلعبي بالنار، ويستحسن أن تصلحي من زينتك قبل أن تعودي للظهور.»

واستدار على عقبيه، وتركها...

٨ ـ فتات الحب

بقيت جولي بجوار البركة فترة طويلة وهي تجلس على الحافة الحجرية، وأخيراً، استيقظت من حلمها فجأة ورأت روب وتشارلوت قادمين نحوها.

كان روب يحمل تشارلوت بين ذراعيه، وهرعت جولي لمقابلتهما وهي تسأل:

ماذا حدث؟ هل يمكنني المساعدة؟»

فرفعت تشارلوت رأسها من على كتف زوجها وقالت:

«أهذه أنت ياجولي؟ لقد أحسست فجأة بنوبة دوار، وقد تحسنت الآن، ولكن روب سيصحبني إلى المنزل.»

وقال روب في قلق:

«لقد أغمى عليها تقريباً.»

ولكن تشارلوت قالت بخفة:

«لاتنزعج ياعزيزي... إنها مجرد حالة عابرة، وسوف أتحسن بعد أن أذهب للفراش.»

وفتحت جولي باب سيارة روب القريب منها فأدخل تشارلوت بعناية على المقعد الخلفي.

وسألتها جولي:

«هل عرفت السيدة تيرنان ما حدث؟»
«كلا... وإني أرفض رفضاً مطلقاً أن أسمح لأحد منكم بإفساد ليلتها بإبلاغها ذلك.»
«سأذهب إذن معك إلى المنزل لرعايتك.»
فقال روب في امتنان:
«حقاً ياجولي... هذا كرم منك.»
«يستحسن أن تعود إلى المنزل وتحاول العثور على سيمون أو أحد التوأمين وإبلاغهم بما حدث، حتى إذا لاحظت أمك اختفاءنا، أمكنهم أن يشرحوا لها حتى لايساروها القلق.»
فقال موافقاً:
«ياإلهي، إنني لم أفكر في ذلك، فسوف ينتابها قلق رهيب إذا لم نترك لها رسالة، وسأسرع قدر المستطاع.»
وغاب أقل من خمس دقائق ثم عاد يقول:
«رأيت جو، وسيبحث عن سيمون ويشرح له الموقف، ولكنهما لن يذكرا شيئاً لأمي إلا إذا سألت.»
وبعد نصف ساعة كانت تشارلوت في فراشها تشرب كوباً من الحليب الدافىء، وسألت جولي بعد ذلك:
«وبهذه المناسبة... ماذا كنت تفعلين في طريق الحديقة بمفردك؟ لاتقولي إنك كنت تتمشين. أو أنه حدثت متاعب مع شريكك وأردت أن تهربي منه؟»
فقالت جولي بسرعة:
«كلا... بطبيعة الحال... لم يكن هناك أحد، ولكنني شعرت بالحر بعد الرقص فتسللت إلى الخارج بمفردي.»
ونظرت تشارلوت إلى زوجها روب قائلة:

«إنني على مايرام الآن... ولم نصل بعد إلى منتصف الليل، فيجب أن تعيد جولي إلى بيت آل يوستيس بسرعة، فالرقص لن ينتهي إلا بعد وقت طويل.»

فقالت جولي:

«كلا... كلا... لا أريد العودة، أعتقد أنني سأذهب أنا أيضاً إلى فراشي.»

«ولكن سيمون سينتظرك، ولا يمكنك تركه حائراً يتساءل عما حدث»

«عندئذ أعتقد أنه سيأتي ليعرف.»

والتفتت إلى روب قائلة:

«نادني إذا شعرت تشارلوت بالمرض مرة أخرى، طاب مسلؤكما.»

وأسرعت بالخروج من الغرفة قبل أن يتمكنا من مناقشتها في ذلك، وبينما كانت تمر بجوار بوابة الدرجات بدأ جرس التليفون يرن، فهرعت للرد عليه، فسمعت حماتها تقول في لهفة:

«جولي.. أنا آن... ما هذا الذي سمعته الآن عن مرض تشارلوت، وكيف حالها؟ هل استدعيتم الدكتور غراي؟ لماذا لم يخبرني أحد؟»

وشرحت لها جولي ماحدث، وأضافت قائلة إن من رأيها أنه لاداعي للانزعاج، ولا داعي لعودة السيدة تيرنان على عجل.

فقالت حماتها بنبرة شك:

«حسناً... إذا كنت واثقة تماماً. ولكني سأصر على أن يراها الدكتور غراي في الصباح.»

ثم قالت:

«لقد حدث شيء آخر بعد انصرافك، فقد تلقى سيمون نبأ بأن أحد الكيميائيين العاملين لديه فقد منزله في حريق، ولذلك ذهب إلى سبيتستاون ليرى ما يمكن تقديمه من مساعدة، وطلب منا أن نقول

لك ألا تنتظريه، فقد لا يعود قبل ساعات.»

وبعد انتهاء المكالمة، صعدت جولي إلى غرفتها وخلعت ثيابها ببطء. كانت تشعر بتعب بالغ، لا من الناحية البدنية، بل من الناحية العاطفية، إنها تعيش منذ ستة أسابيع في حالة تتوتر لاينقطع، وقد انتهى ذلك الآن، وتبددت كل شكوكها ومخاوفها، إنها ليست سعيدة، ولكنها تشعر بحالة عجيبة من الهدوء، أصبحت أكبر سناً وأكثر حكمة مما كانت عندما بدأ المساء!

فعندما عانقها سيمون بهذه الطريقة التأديبية في حديقة آل يوستيس، تحول المأزق الذي كان يبدو متعذر الحل فجأة إلى موقف يبدو بسيطاً ومقبولا فعلا، ومن العجيب، أنها كانت في حاجة إلى مثل هذه المرحلة العنيفة لتجعلها تواجه الحقيقة.

وكانت الحقيقة، كما كان ينبغي أن تعرف منذ البداية، وهي أنه لامكان للكبرياء في الحب! ولما كانت تحب سيمون، فإنه لم يكن ممكنا أن تتركه برغبتها، فإن نصف رغيف أفضل من لاشيء، بل إن الفتات يعتبر شيئاً يستحق حمد الله عليه، ومن الآن فصاعداً، سوف تقبل في تواضع وامتنان أي شيء يمكنه أن يعطيها إياه من نفسه.

عندما استيقظت في اليوم التالي، ظنت في البداية أن الساعة المجاورة لفراشها قد توقفت، فقد كانت عقاربها تشير إلى النصف بعد التاسعة.

وكان الشيء التالي الذي لاحظته، أن باب غرفة الملابس، لم يكن مغلقاً تماماً كما كان في الليلة الماضية، وعندما تركت فراشها واختلست نظرة منه، رأت أن فراش سيمون لم يمس.

ولكن سيمون عاد إلى المنزل، وباب خزانة الملابس مفتوحاً، وأمكنها أن ترى سترته الخاصة بالعشاء معلقة داخله، وكانت ربطة

عنقه وازرار قميصه على مائدة الزينة.

وأخذت جولي دوشاً بسرعة ثم ارتدت ثيابها وهبطت إلى الطابق الأرضي، حيث وجدت حماتها في الشرفة تحيك بعض الثياب فقالت لها:

«إنني آسفة لتأخري في النزول، أين سيمون؟»

«ذهب إلى المصنع ياعزيزتي، ويبدو أنه عاد حوال الثالثة صباحاً، قال أثناء الافطار أنك لاتزالين مستغرقة في النوم، ولم يرد إزعاجك. وأعتقد أنه سيحدثك عن الحريق أثناء الغداء. هذا صوت سيارة كما يبدو، لا بد أن الدكتور غراي أتى لرؤية تشارلوت.»

ووضعت السيدة تيرنان أدوات الحياكة جانباً، وهرعت لمقابلته.

وتناولت جولي قدحاً من القهوة وبرتقالة في المطبخ مع بيللا الطاهية، وبينما كانت عائدة إلى الشرفة ظهرت السيدة تيرنان والطبيب في أعلى الدرج. وقدمتها حماتها للطبيب المسن الذي قام بتوليد كل أبناء أسرة تيرنان. ثم انصرف الرجل بعد قليل.

وقالت لها السيدة تيرنان وهما تصعدان إلى غرفة تشارلوت:

«أمر الدكتور غراي ببقاء تشارلي اليوم في الفراش. ولكنه يقول إنه ليس هناك مايثير القلق.»

وحوال النصف بعد العاشرة كانت جولي في حالة أشبه بالحمى وهي تكبح صبرها النافد لرؤية سيمون. وشعرت أنها لاتستطيع قضاء ساعتين تدور في أنحاء المنزل حتى يعود، فأخذت ثوب استحمامها وقالت لحماتها إنها ستذهب بالسيارة إلى شاطىء باث شيبا للاستحمام.

فقالت السيدة العجوز

«أتعتقدين أن هذا عمل حكيم ياعزيزتي؟ إن الهواء يهب بشدة هذا الصباح، وأرى أن مقياس الضغط الجوى قد أخذ في الانخفاض، وربما

هبت عاصفة، وقد يصبح البحر مضطرباً جداً في باث شيبا.»
فوعدتها جولي قائلة:
«إذا وجدت البحر شديد الهياج عندما أصل إلى هناك، فإنني لن أنزل الماء، وسأكتفي بالمشي على الشاطىء... غير أنني لم أقم أخيراً بأية تمرينات رياضية.»

كان شاطىء باث شيبا يقع على الجانب الاطلنطي من بربادوس، وهو امتداد ساحلي جميل رغم وعورته، حيث يمكن ممارسة رياضة ركوب الأمواج.

وفي الوقت الذي وصلت فيه جولي إلى الشاطىء كانت الرياح قد اشتدت، وامتلأت السماء بالغيوم، غير أن الشمس كانت لاتزال ساطعة، ولم يكن البحر رغم أمواجه المرتفعة شديد الاضطراب، وبالتأكيد فإن هذا الصباح لم يكن مناسباً لأي سباح متوسط بالمغامرة بالنزول إلى الماء، ولكن جولي لم يكن يخامرها أي شك في قدرتها على مواجهة الأمواج المتزايدة الشدة.

ولم يكن هناك أحد آخر في المكان، وبدت كأنها تمتلك خط الساحل الرائع بأكمله لنفسها.

ووضعت طاقية الاستحمام على رأسها في البداية. ولكنها مالبثت أن نزعتها وانطلقت تجري فوق الرمال وشعرها يتطاير حول وجهها. وانتظرت حتى ارتطمت موجة ضخمة بالشاطىء تاركة وراءها رغاوي مزبدة، ثم قفزت إلى الماء.

كانت السباحة في البحر المضطرب الأمواج من أكثر اللحظات بهجة في حياتها في اللحظات الأولى، وتمنت لو كان لديها لوح للانزلاق فوق الموج حتى تحاول ركوب اللجج الطويلة الزمردية اللون.

ولكنها كانت على حق في ظنها أنها لم تكن في حالة لياقة بدنية كما

كانت عندما وصلت إلى بربادوس أول مرة. ومنذ شهرين كان في استطاعتها السباحة لمدة ساعتين بدون تعب، أما الآن، أدركت بعد ثلاثين دقيقة أن الوقت قد حان لكي تناضل لشق طريقها عائدة إلى الشاطىء.

وفي ذلك الحين، كانت الأمواج الشديدة تتعاقب واحدة بعد الأخرى مسرعة، وعندما أصبحت أكثر قرباً من الشاطىء، استطاعت أن تشعر بجذب ودوران الماء لتيار مائي سفلي وخطت ببطء في الماء فهي لاتريد أن تلقي بها الأمواج على مقربة من أية صخور. وبينما كانت تتفحص موقفها، ذهلت عندما رأت سيمون على الشاطىء. كان يخلع ثيابه في سرعة تكشف عن ذعر بالغ.

وبينما كانت ترفع أحد ذراعيها لتلوح له، غمرتها موجة هائلة من الخلف. ولم تشعر بنفسها ألا وهي تبتلع كمية ضخمة من الماء، وراحت تتخبط تحت الماء.

لقد حدث مثل هذا كثيراً لها من قبل بحيث أنه لم يعد يخيفها؛ وإن كانت مثل تلك المفاجأة التي تحدث وهي غافلة تعتبر دائماً تجربة خطرة. وتؤدي إلى فقد توازنها برهة قصيرة.

وعندما عادت إلى سطح الماء وهي تسعل وتلهث، كان وجهها يتجه نحو البحر، وكانت هناك موجة أخرى تعلو فوقها، ولكنها استطاعت أن تتنفس بعض الهواء قبل أن تغوص تحت الماء هربا من ضربة الموجة الشديدة.

وأحست بعد ذلك بسحب التيار المائي التحتي، وفي نفس الوقت التوت عضلة في ظهرها، واصطكت أسنانها بسبب نوبة الألم المفاجئة التي أحست بها، ومع أن الأمر لم يستغرق غير ثوان قليلة، فقد كان كافياً لكي يجتذبها التيار إلى عمق أكثر.

وأحست بألم في صدرها وهي تناضل للصعود إلى سطح الماء، وعندما وصلت إليه وفتحت فمها، كانت هناك موجة أخرى فوقها. شعرت عند اصطدامها بظهرها وكأنها ضربة عشرات من المطارق.

وقالت لنفسها وقد استبد بها الفزع : سأغرق

ثم امتدت يدان قويتان تمسكانها من كتفيها. وكانتا يدي سيمون!

وبعد خمس دقائق، كان يحملها بين ذراعيه ويسير بها عبر الشاطىء إلى مكان وراء بعض الصخور بعيداً عن الرياح.

وظلت جولي بضع دقائق وهي راقدة تلهث وقد استبد بها الارهاق. ثم مدت يدها في ضعف لتبعد الشعر عن وجهها، وفتحت عينيها، فرأت سيمون منحنياً فوقها، كما كان عندما جاء يبحث عنها في جزيرة أوراغان وقال لها:

«لاتتحركي، سأحضر ثيابك.»

ثم اختفى عن ناظريها، وعندما عاد كانت تقف على قدميها وقد تلوث ظهرها وذراعاها وساقاها بالرمال، كما كان هناك بعض الرمال في شعرها الأشعث فقال لها:

«لا فائدة من محاولة تجفيف نفسك هنا، إنك في حاجة إلى حمام ساخن. وساعدها على ارتداء ثيابها وكأنها طفلة صغيرة لا تستطيع ارتداءها بدون مساعدة، ثم حزم بقية أشيائها معاً وأمسك ذراعها مرة أخرى فقالت محتجة:

«لاداعي لحملي، إنني أستطيع السير.»

ولكن سيمون حملها إلى سيارته بدون أن يتكلم، وبعد أن أجلسها في المقعد الخلفي قال:

«ستبقى سيارتك هنا في الوقت الراهن، فأنت في حالة لاتسمح لك

بالقيادة.»

وبينما كان يجلس خلف عجلة القيادة قالت:

«آسفة إذا كنت قد أثرت فزعك، لقد حذرتني أمك من الأمواج ولكني ظننت أن في استطاعتي مواجهتها، ولا أعرف ماذا كان يمكن أن يحدث إذا لم تحضر.»

فرمقها بنظرة قصيرة ملتهبة، ثم أدار محرك السيارة.

وعندما وصلا إلى روز هول أقبلت السيدة تيرنان مسرعة لمقابلتهما، وعندما رأت ابنها نزع ثيابه حتى الوسط صاحت قائلة:

«هل أنت بخير ياجولي؟ حمداً لله أنني اتصلت تليفونياً بسيمون وأرسلته خلفك. كنت أعرف أنك في خطر ماذا حدث؟»

فقال سيمون:

«ليس الآن ياأماه، فهي في حاجة إلى حمام ساخن فوراً. إنها على مايرام فلا تجزعي.»

وقاد جولي بسرعة إلى الطابق الأعلى، وأعد الحمام لها.

وبعد عشرين دقيقة برزت من الحمام في ردائها التركي الأبيض وقد عممت رأسها بمنشفة، وكان سيمون يقف بجوار النافذة وهو يحتسي قدحاً من القهوة فسألها:

«هل تشعرين بتحسن؟»

«أجل... شكراً لك.»

فصب لها قدحاً من القهوة وجلس على أحد المقعدين الكبيرين بجوار النافذة، وبينما كانت جولي ترتشف قهوتها، كانت قد أعدت ماستقوله وما ستفعله بعد الغداء، حيث اعتاد سيمون أن يتجول في الحديقة، وعزمت على أن تتبعه حتى يصبحا على مبعدة من المنزل.

ولكنها أحست بأنها لن تستطيع الانتظار فترة أخرى، وليس مهماً إن

كان غاضباً لأنها قامت بهذه المخاطرة الحمقاء. حانت اللحظـة الآن، وإلا ضاعت للأبد!

وقالت:

«سيمون، قلت ليلة أمس أنني يجب ألا ألعب بالنار، إلا إذا كنت على استعداد لمواجهة العواقب.»

وضاقت عيناه، ولم تستطع تفسير ما فيهما من تعبير، ولكنه لم يقل شيئاً.

وانتقلت جولي إلى جانب مقعده، وجلست على ذراع المقعد وقالت بنعومة:

«حسناً... هأنذا الآن.»

ثم انحنت وقبلته.

وبقي لحظة ساكناً لايتحرك، ثم طوقها بذراعيه، وجذبها على ركبته، وعانقها مثلما فعل في الليلة السابقة. ولكنها في هذه المرة أحاطت عنقه بذراعيها وتعلقت به وفجأة ابتعد عنها، ورفع رأسه ليستطيع أن يحدق في عينيها وقال:

«هل أنت واثقة؟ ياإلهي، هل أنت واثقة؟ لماذا الآن ياجولي؟»

فابتسمت وغمغمت قائلة:

«لأن...»

ولكنه نزع المنشفة عن شعرها، ووضع رأسها المبتل الناعـم على كتفه وقال:

«ليس هذا مجرد إحساس بالالتزام؟»

«كلا ياسيمون كلا بطبيعة الحال...»

ثم توقفت وصاحت قائلة: «إني أحبك... أحبك.»

وتابعت:

«لقد تغير كل شيء في الليلة الماضية، عندما عانقتني. كان ينبغي أن تفعل ذلك من قبل ياحبيبي...»

ومرت رعدة في جسمه، وقال بصوت أجش غريب:

«وعندما رأيتك في الماء وأنت تهبطين، ظننت أنك تفعلين ذلك عمداً.»

وعندما فهمت مايقصد، اهتزت منتصبة في جلستها، وحدقت فيه مرتاعة وقالت:

«هل ظننت أنني أحاول إغراق نفسي؟ ولماذا؟ وما هو السبب المحتمل لذلك؟»

فقال وكأنه ينتزع الكلمات من قلبه:

«لأنني نكثت بوعدي، وكنت خائفة مني.»

فمدت يدها ولمست وجهه وهمست قائلة:

«إنك تحبني... أنت تحبني.»

ثم دفنت وجهها في عنقه وهي تبكي وتضحك، وقد امتلأ قلبها بفيض من السعادة والبهجة. وبعد أن استعادتْ هدوءها قال لها:

«لقد احببتك عندما رأيتك أول مرة، حين خرجت أمامي من بين الشجيرات في سوليتير، فلم أصدق عيني، كنت أجمل مخلوق بري رأيته في حياتي.»

وجلست تتطلع إليه... وقالت:

«حبيبي سيمون ... لقد أحببتك منذ ذلك الصباح البشع الذي اعتقدت فيه أنك متزوج من تشارلوت ... أما سبب عدم قولي «نعم» في ذلك اليوم بالمصنع هو أنني لم أكن أصدق أن أحداً بهذه الروعة يمكن أن يرغب في الزواج مني...»

«ولكنك قلت إنك لا تتحملين لمسي إياك... وقلت صباح يوم زفافنا انك...»

«ولكنني لم أكن أقصد ذلك... بل كان عليّ أن أقوله... لقد قلت مرة يا سيمون انك لا تهتم بوسائل جيزيلا... فماذا كنت تعني بالضبط؟»

«هل قلت ذلك ؟ لا أذكر... وما أهمية ذلك يا جولي ... حسناً... إذا كان يجب أن تعرفي... فقد ابتزت مني نقوداً كثيرة... وعندما أثرت موضوع شراء سوليتير، ضاعفت المبلغ الذي اتفقت عليه مع والدك...»

«ولماذا لم تُقل لها أن تذهب إلى الجحيم؟»

«لأنني أردت المكان من أجلك... ولأطفالنا.»

واتجهت جولي نحو النافذة... وبصوت منخفض حدثته عن الحديث الذي تم بينها وبين جيزيلا بعد زفافهما مباشرة.

فقال وأسنانه تصطك غيظاً:

«يا إلهي... يا لها من متآمرة حقيرة...»

وبينما كان يقفز من مقعده كان يبدو في ثورة غضب جارف، حتى أنها أمسكت يده خوفاً مما قد يفعل... وقالت:

«إنني أعرف إنها خبيثة يا سيمون ... فلا تفعل أي عمل طائش... أرجوك يا حبيبي... لقد انتهى كل شيء.»

«وكيف ندعها تفلت بعد ذلك... وعندما أنتهي منها سوف تتمنى لو لم تولد...»

لم تره جولي بمثل هذه الصورة الخطيرة... وكان البريق البارد في عينيه يبعث رعدة في عظامها... وطوقته بذراعيها والتصقت به وهي تتوسل إليه :

«أرجوك يا سيمون ... لا تذهب... لا تتركني...»

وبدأ غضبه يهدأ بعد قليل، وعاد يسيطر على نفسه... ثم قال :

«كيف أمكنك تصديق مثل هذا الاختلاق البشع ؟»

«لقد جعلته يبدو مقنعاً جداً... وبدآ أنه يفسر سبب عدم ظهورك بمظهر المحب.»

وضحك قائلاً :

«ماذا تعرفين عن العشاق وكيف يتصرفون؟»

«لقد قرأت كتباً...»

وربت سيمون على ذقنها قائلاً :

«وإذا كنت قد أحسست أنني لست على ما يرام، فلماذا لم تمهدّي لي الطريق ؟... وفي أية حال فإنني ما زلت غير مدرك لماذا ـ إذا كنت تحبينني ـ تصرفت وكأنك لا تطيقين رؤيتي؟»

«لقد اعتقدت أنني لا أستطيع احتمال ادعائك بأنك تحبني... وفجأة... في الليلة الماضية أدركت أنه لم يبق لي أية كبرياء... هل يمكنك أن تغفر لي يا سيمون تلك الطريقة التي تصرفت بها في بيت آل بنسون على الشاطىء ؟»

«لقد كنت قاسية جداً... لحسن الحظ أن لي طبيعة تغفر الكثير...»

ثم شدّد ذراعيه حولها، وعانقها.

ودق ناقوس الغداء في الطابق الأسفل، ولكن سيمون تجاهله...

وبعد دقيقة أو دقيقتين قالت جولي وهي تلهث :

«يجب أن نهبط يا حبيبي... سوف يعتقدون أننا لم نسمعه، ويصعد إلينا بعضهم.»

فتركها بعد تردد... وقال :

«سأقول لهم إنني طلبت إليك البقاء في الفراش... وسأحضر طعامك في صينية... لن أغيب أكثر من خمس دقائق...»

وبعد أن خرج، ارتدت جولي ثوبا أزرق جميلاً لم تلبسه من قبل، وتعطرت بعطر «الرياح الخضراء » ثم وضعت بعض الطلاء

الخفيف على شفتيها...

كانت هناك زجاجة شراب على الصينية التي أحضرها سيمون، ووضعها على المائدة قرب النافذة وقال وهو يفتح الزجاجة:

«لقد قلت لروب إنني لن أذهب إلى المصنع بعد ظهر اليوم.»

فاحمر وجه جولي... وقالت:

«ألا يعتبرون ذلك شيئاً غريباً؟»

«لماذا؟... لقد ظللت مستيقظاً نصف الليل... وفي أية حال فإنهم لن يعرفوا أنّ هذا إفطار زفافنا...»

وملأ كأسين أعطاها إحداهما... فقالت:

«هل تظنّ حقا أنّ ليس لديهم أية فكرة عما كان بيننا ؟ لا بد أن الخادمات قد أدهشهن نومك في غرفة الملابس طوال ذلك الوقت...»

فقال سيمون بابتسامة خبيثة:

«ستة أسابيع! كانت أشبه بستة شهور... وكنت أنت تزدادين جمالاً في كل يوم، بينما كنت أنا أغلق على نفسي غرفة الملابس الملعونة وأحاول أن أنسى أنك على مسافة بضع ياردات فقط مني...»

وسألها سيمون وهو ينظر إلى الطعام وعيناه الرماديتان تضحكان:

«هل أنت جائعة »

واحمر وجهها... وهزت رأسها...

فتناول كأسها وأعاده إلى الصينية بجوار كأسه... ثم سار إلى الباب المؤدي إلى غرفة الجلوس وأغلقه بالمفتاح.

ضمته بين ذراعيها وقالت لنفسها:

«هناك أشكال عديدة من السعادة، بعضها عرفته فعلاً. والبعض الآخر مازال في الطريق، ولكن لاشك أن هذه هي الكبرى... أن تحبه وتكون محبوبة وأن يبدآ معاً حياة جديدة.

